

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

قسم العلوم الإنسانية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

العصور المعدنية في بلاد الرافدين

مذكرة مكملّة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر
في التاريخ العام تخصص تاريخ الحضارات القديمة.

الدكتور المشرف:

- تجاني مياطة

إعداد الطالبات:

- سناء مولاي

- الزهرة عزوي

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
السعيد شلالة	أستاذ محاضر أ	رئيس اللجنة	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي -
تجاني مياطة	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي -
حسن معمرى	أستاذ مساعد أ	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي -

السنة الجامعية: 2019/2018م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

نشكر الله العلي القدير ونحمده حمدا كثيرا الذي أمدنا بالقوة والعزيمة للإنجاز هذا العمل

المتواضع، ثم الشكر والتقدير لأستاذ المشرف الدكتور تجاني مياطة.

الذي لم يبخل علينا يوما بتوجيهاته ونصائحه القيمة من أجل إنهاء هذا العمل الذي سطره

من بدايته إلى آخر نقطة وضعت فيه فكل الشكر لك أستاذنا.

وأحد لزاما علي هنا أيضا توجيه عظيم الشكر للجنة المناقشة لتفضلها بقبول مناقشة هذا

العمل المتواضع.

كما أوجه شكري إلى من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث.

الاختصار	المعنى
تر	ترجمة
د ط	دون طبعة
د س	دون سنة
د ع	دون عدد
د د	دون دار
ج	جزء
د ب	دون بلد
ط	طبعة
ص	صفحة
م	ميلادي
ص-ص	من صفحة إلى صفحة
هـ	هجري
ق.م	قبل الميلاد

عرفت المناطق الواقعة جنوب غرب آسيا بردها الحضاري الطويل ذو أصالة عريقة ومن بين أهم هذه المناطق ما يسمى بلاد ما بين النهرين والتي تعد من مراكز الحضارية الأولى الموجودة في العالم، وهي حضارة موجودة في أراضي العراق الذي يحتل مكانة متميزة، بين مناطق الشرق الأدنى القديم كما أنه لا يختلف عن غيره من بلاد تلك المنطقة ذات الحضارة العريقة، حيث كانت من الحضارات التي ظهرت بشكل أصيل، أي تأسست وشهدت الكثير من التطورات دون الاعتماد على غيرها من الحضارات الأخرى، يرجع بزوغ نور هذه الحضارة منذ عصور ما قبل التاريخ إلى غاية الغزو الفارسي، وهي بهذا تعد أقدم الحضارات الإنسانية ومن أهم انجازاتها الناضجة على مر دهرها اكتشافها الزراعة وتدجين الحيوان والتي كانت منطلق الأول لعمر هذه الحضارة أما بالنسبة لنضجها بظهور ما يسمى بالمعادن أو ما يعرف في عصرنا الحالي بالمواد الأولية أو المواد الخام والتي عملت على سد حاجيات السكان وإكمال نقصه وجعلت منه إنسان أكثر تقدماً ورقياً وتحضرًا على ما كان عليه من قبل ويبدوا أن هذه المنجزات لم تكن من باب الصدفة التاريخية بقدر ما عبرت عنه ظاهرة نفسية تاريخية رافقت جميع الحضارات القديمة بصفة عامة وبلاد الرافدين بصفة خاصة.

1- دوافع اختيار الموضوع:

وقد كان لمنجزات إنسان بلاد الرافدين وبالتحديد في المعادن تأثيرات إيجابية التي خلفتها على الإنسان والمنطقة شيئاً محفزاً للدراسة وكذا اهتمامي الخاص حول تاريخ هذه الحضارة ومن هنا تطرقنا لدراسة موضوعنا:

1- معرفة هذه المعادن.

2- ومتى اكتشفت.

3- التعرف عن مجالات استخداماتها وما هي أهم إسهاماتها الجذرية في تطور هذه الحضارة.

4- توسيع الجانب المعرفي في تاريخ العربي للحضارات القديمة وخاصة بلاد الرافدين

2- طرح الإشكال:

إن دراسة العصور المعدنية لبلاد الرافدين يتطلب طرح إشكالية عامة التي توضح هذه العصور على عموم، كيف ظهرت المعادن في بلاد الرافدين؟

وتفرع عن الإشكالية الأساسية مجموعة من الأسئلة الفرعية التي أجبنا عليها توضح لنا هذه الدراسة بصفة خاصة:

الأسئلة الفرعية:

- ما هي طبيعة هذه المعادن؟
- ومما تكونت؟
- وما هي أهم الجوانب التي مستها المعادن في هذه الحضارة؟
- وكيف كان تأثيرها على الفرد والمجتمع؟

3- المنهج المتبع:

وللإجابة عن إشكالية الدراسة اعتمدنا على المنهج التاريخي كونه يتناسب مع أساسي في كل دراسة تاريخية والمنهج الوصفي وذلك لوصف الجوانب الحضارية التي شملتها المعادن والمنهج السردى لسرد بعض أحداث التي شهد ته هذي الفترة المميزة من عمر هذه الحضارة.

4- الإطار الزمني:

أما الإطار الزمني ليس محددا بدقة وذلك لأن المعلومات عن المعادن قليلة جدا وهي فترة ممتدة من فترة ما قبل التاريخ إلى غاية نهاية حضارة بلاد الرافدين أي عند مجيء الغزو الفارسي.

أما فيما يخص الإطار المكاني لحضارة بلاد الرافدين هي منطقة الشرق الأدنى القديم.

5- الأهداف:

- المساهمة في إثراء رصيد المكتبة الجزائرية بالدراسات الخاصة حول حضارة بلاد الرافدين وخاصة جانب المعادن وذلك قلة الدراسة فيه في مكتبتنا الوطنية.
- وتقديم صورة موضوعية وشاملة حول هذا الموضوع.

6- خطة الدراسة:

ونظرا لما يحتاجه موضوعنا من تخطيط وترتيب كان لابد من وضع خطة للدراسة ، فقسمنا موضوع بحثنا إلى مدخل وثلاث فصول.

الفصل التمهيدي: يتناول الدراسة جغرافية وبشرية لبلاد الرافدين

الفصل الأول: العصور الحجرية لبلاد الرافدين

أولاً: العصر الحجري القديم

ثانياً: العصر الحجري الأوسط

ثالثاً: العصر الحجري الحديث

الفصل الثاني: العصور المعدنية في بلاد الرافدين

أولاً: العصر النحاسي

ثانياً: العصر لبرونزي

ثالثاً: العصر الحديدي

الفصل الثالث: تأثيرات الصناعات المعدنية في اقتصاد بلاد الرافدين

أولاً: الجانب الثقافي

ثانياً: الجانب العسكري

ثالثاً: الجانب الفني

رابعاً: الجانب الاقتصادي

7- قراءة في أهم المصادر والمراجع المعتمدة في إنجازات الدراسة:

استندنا في موضوعنا على مجموعة من المصادر ومراجع، ومن بينها القرآن الكريم والأختام الاسطوانية لبلاد الرافدين.

أما المراجع فتتوزعت بين كتب ومذكرات منها طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات، محمد عبد لطيف أحمد علي تاريخ العراق القديم اللذان تناولوا المعلومات بالتفصيل عن الموضوع العصور المعدنية في بلاد الرافدين مذكرة فضيلة حند الحضارة الأكديّة.

8-الصعوبات

ومن الطبيعي أن يواجه أي باحث أثناء بحثه العديد من الصعوبات والعراقيل التي تقف عرضه في مسيرة بعض جوانب الموضوع ومن أبرزها غياب شبه كلي للمصادر المعرفية للعصور المعدنية أو كونها كلها بمصادر أجنبية وصعوبة الحصول عليها.

- ولم نستطع التشعب في الموضوع نظرا لقلّة الدراسة عنه.

- جل المراجع الخاصة بالعصور المعدنية تعطينا المعلومات بصفة عامة وليس بدقة كاملة ومفصلة.

وفي الأخير نتقدم بالشكر للأستاذ المشرف لما له من فضل في توجيهنا والإشراف ومتابعة لهذا البحث خطوة بخطوة فلولاً لملاحظاته لما ظهر البحث في ثوبه هذا، ونرجو أننا وفقنا في الإلمام ولو بقليل بجوانب الموضوع ولو وفقنا فذلك من فضل الله، وإن وجد خلل فنسأل الله الغفران وهو ولي ذلك والقادر عليه وهو الهادي إلى سواء السبيل.

أولاً: أصل التسمية

يطلق على المنطقة الممتدة في آسيا وشمال إفريقيا بين إيران شرقاً ووادي النيل وليبيا غرباً اسم عام مبهم وهو الشرق الأدنى وهو ما يطابق تقريباً اصطلاح الشرق الأوسط ، الشائع في أيامنا إلا أن الأنجلوا ساكسون يميلون إلى مدلول هذا الاصطلاح الأخير إلى حدود العالم الهندي، وفي هذا الشرق الذي يشكل مشرقنا العربي أهم رقعة فيه الوحدات جغرافية تاريخية الأناضول في لآسيا الصغرى وأوراتو حول بحيرة، وأن وميدية جنوبي بحر قزوين وفارس جنوب إيران وتمتد بلاد الرافدين في الشمال الشرقي من بلاد العرب ، وقد أثر المصطلح الأوروبي Mesopotanse من المصطلح الجغرافي اليوناني القديم Mesopotansie ويترجمونه ببلاد ما بين النهرين دجلة والفرات وهي ترجمة أمينة لولا أنه ينبغي أن يقدر أن مواطن الحضارة العراقية القديمة، لم تقتصر على ما بين النهرين فحسب وإنما امتدت إلى ما حولهما أيضاً بل إن طائفة من أقدم المواطن الأثرية مثل العبيد وأوريدو أور قامت غرب الفرات وليس فيما بينه وبين دجلة كما قامت أشتونا تل الأسمر ونيوى شرقاً، وليس فيما بينه وبين الفرات وقد فطن بعض الكتاب الإغريق أنفسهم إلى قصور لفظ ميزبوتامبا، فأضافوا إليه بارابوتامبا أي خارج النهرين أو ما حولها¹.

- إذن فالمصطلح على وجه العموم بدل الصورة عامة على المنطقة المعروفة باسم العراق حالياً بالإضافة إلى الجزيرة السورية، لكن الوضع الجغرافي - التاريخي لم يكن هكذا في مراحل تاريخية أقدم فمن المعروف أن أوضح استعمال لتسمية Mesopotansie هو الذي ورد عند المؤرخ الكلاسيكي بوليبيوس Polybinos 202 ق م على الرغم من احتمال استعمال المصطلح قبله، وتبع بوليبيوس الجغرافي سترابون² 24 ق م - 19 م في استعمال المصطلح

¹ - إبراهيم اليازجي، تاريخ بابل وأشور، د ط، د د، بيروت 1879، ص 100.

² - استرابون: ولد في إقليم بونتوس على البحر الأسود، وكان شديد الثراء مما مكنه من التنقل إلى العديد من المعالم، وتتميز كتاباته بأنها نوع من الجغرافية التاريخية ولقد قسم مؤلفه إلى سبعة عشر جزءاً وزع عليها أقاليم العالم، ولقد تحدث عن بلاد النهرين، حيث وصف استغلال المياه في الزراعة وكيفية سحبها في قنوات إلى الأراضي الزراعية، ولقد تحدث عن بابل في كتابه الخامس عشر والسادس عشر. للمزيد ينظر: لأحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ العراق القديم، د ط، دار المعرفة الجامعية، دس، ص 43.

لإطلاقه على ذلك الجزء من العراق المحصور ما بين دجلة والفرات من الشمال إلى حدود بغداد تقريبا، وقد كان هذا المصطلح يطابق إلى حد كبير مصطلح الجزيرة الذي استخدمه البدائيون العرب للدلالة على القسم الشمالي من الوادي¹ الرافدين وهذا ما أدى أن المنطقة التي كان يحددها هذا المصطلح كانت تضم جزءا من الأراضي العراقية إلى جانب جزء من الأراضي السورية².

مؤثرا في تغيير المستوطنات البشرية على ضفافه وهجراتها بالاستمرار³ إن القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين، كان يدعى قديما بلاد شوبار أو آشور باتو نسبة لأقوام قديمة جدا سكنت هذه المنطقة وقد سكن الآشوريون في المنطقة، حوض دجلة لأوسط ورافديه الزاب الكبير والزاب الصغير، وتحدها جبال زاغروس وكردستان من الشرق والشمال حيث تشكل هذه الجبال حدا طبيعيا فاصلا لبلاد النهرين وكل إمبراطوريات القديمة الكبرى في عهد الأكاديين والبابليين والآشوريين والكلدانيين، لم تتجاوز تلك الجبال شرقا لمناعتها وعدم وجود مايجرى ورائها، ولا توجد حواجز طبيعية فاصلا بين هذه المنطقة وبقية بلاد الهلال الخصيب وتعتبر هذه المنطقة منطقة جبلية خصبة⁴.

أما القسم الجنوبي من العراق الحالي فظل في عصور ما قبل التاريخ مغطى بالمياه ولذلك استحال العيش فيه إلى غاية الألف الخامسة ق.م فقد أطلقت عليه تسميات عدة عبر عصور التاريخ المختلفة مثل بلاد السومر، وأكد.. وغيرها. ويطابق بلحث لآخر بين اسم بلاد الرافدين والاسم الحديث، العراق الذي يشكل مع سوريا القديمة وفلسطين ووادي النيل ما دعاه بريسيد(الهلال الخ صريب)، وقد قامت بين هذه الأقطار منذ فجر التاريخ وبدايات الحضارة صلات يمكن أن ترقى إلى العصور الحجرية أدى إلى ما قبل الكتابة، واستمرت خلال المراحل المتعاقبة ودون انقطاع، وليس معنى هذا أن هناك اتفاقا على تسمية محدودة لأرض الرافدين إذ

¹ - إبراهيم اليازجي، مرجع سابق، ص 103.

² - نفسه، ص 103.

³ - نفسه، ص 100.

⁴ - نفسه، ص 103.

لم يتفق المؤرخون على ذلك فكلمة عراق يتأرجح معناها بين عدة آراء فهناك من يرجعها للأصل العربي بمعنى الجرف أو الساحل وهناك ما يرجعها لأصل قديم سومري أو سامي مشتق من كلمة أوروك بمعنى المستوطن وقد أطلق عليها كذلك أرض السواد نسبة للقسم الجنوبي وهناك من يرى أنه سمي كذلك لتواشج عروق الشجر والنخيل فيه، والذي حصل مع الوقت هو أن نطاق دلالة اسم العراق اتسع ليشمل بالإضافة إلى القسم الجنوبي من العراق الحالي القسمين الأوسط والشمالي أيضا ، كما حصل الأمر نفسه بصورة عكسية لمصطلح بلاد ما بين النهرين فالدلالة الأوروبية له لم تعد هي نفسها التي كان يعينها المؤرخون اليونان والرومان، فموجب الاستخدام الأوربي الحديث لهذا المصطلح، بات هذا الأخير يشمل بالإضافة إلى (الجزيرة العراقية السورية) القسمين الأوسط والجنوبي من العراق الحالي¹. وتاريخ بلاد الرافدين هو أقرب ما يقرب من تاريخ مصر القديم من حيث السبق الزمني والثراء المتنوع والطابع المتميز واتصال التطور في مجال الفكر والمادة معا وكان فيما من آثار العراق وما أتت به قصص التوراة عن الآشوريين والبابليين ، وعلاقتهم بمناطق فلسطين والعبرانيين، ثم ما سجله الرحالة والمؤرخون والإغريق والرومان الكلاسيكيون عنهم وعنهم ما آثار تطلع عدد من الرحالة والباحثين بل والمغامرين في بداية العصر الحديث إلى محاولة كشف النقاب عن آثار لبلاد العراق وتاريخها القديم².

وكانت بلاد مهد الحضارات قديمة، وكان إنسانها الأول متفرقا في مجموعات بشرية انتشرت بين الشمال والجنوب أن يحيا حياة قامت على أسس حضارية مقدمة منذ أول عصور فجر التاريخ وهذه الأسس أخذت تتطور تطورا رتبيا في سلسلة متعددة الحلقات، ويجب علينا ألا نعتقد بأن هذا التطور كان يحدث على مسرح واحد.

¹ - إبراهيم اليازجي، المرجع نفسه، ص 103.

² - نفسه، ص 103.

ثانياً: الموقع الجغرافي

- إن الظروف الجغرافية البارزة في العراق تـمـتد جغرافية العراق القديم ، في القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وكان لموقعه أهمية بالغة للتجارة إذ يقع في ملتقى الطرق، التي تمر إلى الشرق والغرب، ويرتبط بين قارات العالم الثالث، آسيا، أوروبا، إفريقيا فهي تقع بين نهري دجلة والفرات، شمال غربي التحضر والسمات الجزيرة وجنوب هذه المنطقة تـمـتد أرض بابل، تعتبر أرض وادي الرافدين هي الأرض الممتدة من الخليج العربي من الجنوب الشرقي إلى قمع جبال فردوس في الشمال الغربي، وتحدها جبال فكروس في الشمال الشرقي، والهضبة العربية من الجنوب الشرقي والهضبة العربية من الجنوب الغربي وتتباين تضاريس سطح العراق بين الجبلية الوعرة والهضبة الصحراوية القاحلة واعتمدت الحضارات لإقامة في وادي على نهر الدجلة والفرات.¹

وساهم موقعها أيضاً المتواجد بين جبال أرمينيا² في الشمال، والخليج العربي حالياً في الجنوب وبين جبال زاغروس³ في جهة الشرق وبادية الشام في الجهة الغرب جعلها منطقة عبور بشري، لما يتوفر فيها لمن متطلبات منطقة عبور بشري، لما يتوفر موقعها الجغرافي محطة استقرار مهمة تلك الوفود البشرية، التي تسلك إليها على شكل تسلاات سلمية أو غزوات حربية، بحسب المتغيرات التي تمر بها المنطقة كما أنه نعمة عليها من ناحية أخرى نعمة عليها

¹ - بشير محده وآخرون، مصادر الشرق الأدنى القديم (مصر بلاد الرافدين، فينقيا)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في

تاريخ الحضارات القديمة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، 2013-2014، ص 06. ينظر الملحق رقم 01.

² - أرمينيا: تقع اليوم جنوب القوقاز، ومن الغرب تحدها تركيا وشرقا أذربيجان وإيران من الجنوب الغربي في شمال جورجيا، هنري س عبودي، معجم الحضارات السامية، د ط، دس، دار جروس بروس، ص 437.

³ - جبال زاغروس: وهي سلسلة جبال في آسيا الغربية يمتد من تخوم أرمينيا تركيا إلى أذربيجان الإيرانية وتشكل فاصلاً بين العراق وإيران، للمزيد ينظر: هـ-س عبودي، مرجع السابق، ص 440.

بسبب تغير مجاري نهريها، باستمرار لاسيما الفرات وهذا ما كان عاملاً مؤثراً في تغيير المستوطنات البشرية على ضفافه و هجراتها باستمرار.¹

موقع نهري دجله والفرات:

يوجد في بلاد الرافدين نهريْن هما وادي دجله والفرات اللذين يعتبران شريان الحياة الرئيسي في هذه المنطقة، ولقد أدرك الإنسان العراقي القديم أهميته للنهرين بالنسبة له فقام بتأهيلهما وعرفهما بالنهرين الأخوين ونظرا لارتفاع وادي الفرات الدجلة فقد صنع الإنسان العراقي القديم شبكه الأنهار توصل بينهما وخاصة في القسم الجنوبي الذي يتميز بصلاحية معظم أجزائه للزراعة والرعي، حيث يقع وادي النهرين بين سلسله جبال زاغروس شرقا والصحراء السورية ومرتفعات لبنان غربا وتتحد الأرض تدريجيا من جبال أرمينيا التي ينبع منها النهران ويظل الانحدار حتى نقطه التقائهما حيث يتكون السهل الفيضي في الجنوب ويستمر حتى مصبه في الخليج العربي ويتميز نهر الفرات بأنه أطول من نهر دجله و أكثر تعرجا، وهو يمتاز عنه باتساع واديه وعمقه أما دجله فانه يتميز من ناحية أخرى بكثرة روافده التي تنبع من هضبة إيران، وهو بذلك يتلقى امتدادات كثيرة ولعل من أهم هذه الروافد نهر الزاب الكبير (الأعلى²) الذي يصب في دجله على بعد أربعون ميلا جنوبي نينوى بالقرب من النمرود، ثم الزاب الأسفل³ إلى الجنوب من ذلك بحوالي ثمنين ميلا، ومن هذه الروافد نهر ديالى والذي أطلق عليه البابليون تسمية (ترناة) ولقد أدت كثرة الروافد وتنوع مصادرها إلى ان أصبحت الفيضانات المفاجئة من المظاهر المميزة⁴.

¹ - أسماء بان: الحياة الفكرية في بلاد العراق القديم، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2015-2016، ص 8.

² - الزاب الكبير: ينبع هذا النهر من تركية بالقرب من الحدود الإيرانية ويتصل بدجلة بالقرب من الموصل، طوله 230 كلم للمزيد ينظر هنري-س عبود، ص 437.

³ - الزاب الصغير أو الأسفل: ينبع هذا النهر في إيران بالقرب من الحدود العراقية ويجتاز جبال زغروس ويدخل بلاد ما بين النهرين شمال كركوك ويتصل من ثم بدجلة 370 كلم، للمزيد ينظر: هنري-س عبود، ص 437.

⁴ - أحمد أمين سليم، تاريخ العراق القديم منذ أقدم العصور وحتى الغزو الإيراني 639 ق م، دار المعرفة الجامعية، د ط، كليه الآداب، جامعه الإسكندرية، ص 15.

نهر دجله أما أهم الروافد الفرات فهما (البالخ) و (الخابور¹) ويلاحظ انه رغم أن نهر دجله اقل اتساع من نهر الفرات إلا أن كميته المياه التي يحملها اكبر سرعه التيار في النهرين شديدة مما يؤثر على النحت في المجرى الجيري مما يجعل ماء النهرين، سريع الجريان، نهر دجله وفيضه المفاجئ إلى غمر الكثير من الأراضي بل وفي بعض الأحيان يؤدي ذلك إلى أن يشق النهر لنفسه مجرى جديداً، وقد اتخذ كل من دجله والفرات مجرى مرفصلاً فيما بين الألف العاشرة والألف الخامسة، ودخل إلى الخليج العربي بمصبين مختلفين، وكان خط شاطئ الخليج في هذه المرحلة يقع أبعدهما هو إلى الشمال الغربي على بعد بضعة أميال من بغداد، وقد كون كل من النهرين دلتا خاص بهما، امتدت كل منهما تدريجياً إلى الجنوب الشرقي في مياه الخليج من الأنهار الأخرى في هذه المنطقة تكون رصيف من مائه فيضية رسوبية في الجنوب عبر رأس الخليج العربي، وأدى ذلك إلى تكوين حوض أمام نهري دجله والفرات، مما أدى إلى ترسيب كميات كبيرة من الطمي الذي يحملانه في الأراضي الداخلية مما أدى إلى تكوين المستنقعات الطمية².

ولقد أدى ذلك إلى وجود إقليمين مميزين في الأراضي المنخفضة في دجله والفرات وهما السهل الأدنى وهو نتيجة الإرساب الفيضي، والسهل الأعلى ويشمل حوض النهري وديان روافدهما، والسهل الأدنى حديث نسبياً لم يعمر قبل الألف الخامسة ق م، واستقر فيه السومريون والأكاديون منذ الألف الثالث ق م ونتيجة دجله بالفرات تكونت منطقة شط العرب وهي عبارة عن مجرى ملاحي عريض يتخلل خرام من النخيل وكلما اتجهنا شمالاً تضاءلت المستنقعات³.

¹ - نهر الخابور: ينبع من جنوب شرقي تركيا ثم يعبر الحدود جنوباً إلى سوريا بناحية رأس العين، ويندمج بنهر جغلق في الجزيرة السورية ثم يصبان في نهر الفرات، طوله 320 كلم. بلخير بقة، أثر الديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل (3200-539 ق م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2009 م، ص 11.

² - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 17.

³ - نفسه، ص 17.

وكذلك يعدان النهران الماء المحرك الأساسي للحضارة حيث ساهم وجود الرافدين يمران عبر بلاد العراق قديما في جعلها منطقة استقطاب وجذب بشري فتوالت عليها الهجرات البشرية على ضفاف الرافدين دجله والفرات أو في المناطق¹ القريبة منهما، أين أسسوا العديد من المراكز الحضارية فيها يعد ولعل أبرز المناطق الجغرافية التي استقروا بها وهي كالتالي:

السومريون²: الذين استقروا بالقسم الجنوبي منها أسهم المتمثلة في المناطق الواقعة بالقرب من شط العرب، ما بين نهري دجله والفرات وهناك من المؤرخين من يضم السوبليين إليهم³.

ضفاف نهر الفرات : استوطنها الساميون في المناطق المتفرقة من بلاد العراق قديما ونذكر منها:

الأكاديون: استقروا في المناطق الواقعة أسفل الفرات في عدة مناطق وخاصة أكاد التي أخذ منها اسمهم وامتد اسمهم حتى ساحل الخليج العربي حاليا.

البابليون: استقروا على طول نهر الفرات في عدة مناطق وخاصة مدينه بابل التي أخذوا اسمهم منها ولقد كان السبب المؤثر في اختيارهم لها هو قربها من الناحية اليمنى لنهر الفرات وفي عصر برونزهم الثاني (الدولة البابلية الثانية أو الدولة الكلدانية)، أسسوا مملكه مجاورة لبابل وكانت تقع على ضفاف نهر الفرات أيضا.

ضفاف نهر دجله: استقر به الآشوريون واختاروا منه منطقة شمال شرق بلاد العراق قديما أو بالقرب من نهر جداقل كما سمته التوراة.

المناخ: بما أنهم من العناصر الطبيعيّة المؤثرة في نشاطات الإنسان المختلفة وخاصة الاقتصادية والاجتماعية، فقد كان فصل الشتاء معتدلا في جنوب بلاد العراق قديما حيث تتواجد بلاد سومر، ويأخذ في القسوة كلما انتقلنا نحو الشمال والحال أيضا بالنسبة لفصل الصيف الذي يتباين في درجه حرارته بين الشمال والجنوب العراقي، الأمر الذي أدى إلى تنوع

¹ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 17.

² - **السومرية:** ضفاف الخليج على شاطئ الفرات ومنها أريد أبو شهرين حاليا أو المقير وذلك على الضفة اليمنى لنهر لارسا. للمزيد ينظر: أسماء بان، مرجع سابق، ص 10.

³ - نفسه، ص 10.

المحاصيل الزراعية مما ساهم في جانب الاقتصادي العراق القديم على جميع إلا صعد لاسيما الزراعي والتجاري بما أنه كان يؤثر في طبيعة الموارد المائية ومدى وفرة مياهها، فنذكر أن الفرات يتميز بجفافه التام في فصل الصيف على عكس فصلي الشتاء والربيع، أين تبلغ مياه ذروتها كما أننا لو تأملنا في هندسه البناء العراقي¹ القديم لوجدناها تعتمد على أفنيه داخلية هذا ما يجعلنا نتوصل إلى أن شدة حرارة الجو في الصيف.²

أ- تنوع التضاريس السطح:

1- السهل الرسوبي:

يعد السهل الرسوبي من أهم الأجزاء إذ شهد هذا السهل قيام أقدم الحضارات الإنسانية العريقة عليه حتى الآن وذلك خلال الألف الرابعة ق م، وتشتغل منطقة سهل الرسوبي نسبة 20 من مساحه العراق الكلية أو ما يعادل حوالي 93 كم² يتكون من الأراضي المنبسطة جنوب بغداد وهي منطقة شديدة الانبساط، تجري فيها انهار عديدة وأهمها نهري الفرات ودجله، عندما يصل النهرين دجله والفرات إلى منطقة هبة وسمراء تبدأ دلتها الكبير هذا يلتقي واديها مكونين سهلا واسعا ويرجح انارصيته تكونت بفضل هذه الأتة ار ويكون المناخ في هحار جاف وكمية الأمطار المتساقطة تقدر بحوالي (2،6) بوصة فقط سنويا وهذه الكمية غير كافية للزراعة وبذلك يكون الري تعتمد الزراعة، ويعتقد سابقا أن هذه المنطقة لم تغمر بمياه الخليج العربي ليس منذ زمن البابليوسن على الأقل أنها كانت في عصر ما قبل التاريخ كما هي اليوم تقريبا منطقة مليئة بالأهوار والمستنقعات المائية³.

ويلاحظ أن مقدار الغرين الذي يحمله نهري دجله والفرات كان مسؤولا إلى حد كبير عن البيئة الأرضية في جنوب العراق لذلك اكتسبت هذه المنطقة تربة خصبة صالحه للزراعة وكانت

¹ - أسماء بان، مرجع سابق، ص 38.

² - نفسه، ص 38.

³ - علي تامر وآخرون، دور نهر الفرات في نشوء وبلورة الحضارة حضارة وادي الرافدين ، د ط، جامعة القادسية، بغداد، ص 4.

تشيد البيوت والقصور والمعابد من اللبن المشوي في العصور القديمة لعدم وجود الحجر في السهل الرسوبي¹.

ساهم ذلك التنوع التضاريسي في التأشير على شخصية الفرد العراقي قديماً وقد مس هذا التنوع مختلف مجالات الحياة المتعلقة به إذا انقسم سطح بلاد العراق إلى منطقتين رئيسيتين هما: في الجنوب يوجد سهل ريموني حيث مدينتي سومر وأكد أما في الشمال فتوجد التلال والجبال وهي مناطق رعوية حيث توجد مدينة أشورو من الملاحظ أن الأرض بلاد العراق تتميز بخصوبة تربتها المرتفعة لاسيما في المناطق الروسوبية الجنوبية التي كانت تغذيها فيضانات نهري دجلة والفرات بالرواسب المخصبة للتربة باستمرار الأمر الذي انعكس على التنوع مزروعاتهم وجودتها²، ولقد أدى هذا التنوع بدروه إلى التأشير والجانب الديني فكان لديهم آلهة المياه والخصب وآلهة السماء، فكان الإنسان يعيش في هذا العالم أن يكون لنفسه أي كما أشارت الدراسات أن سكان ما بين النهرين كانوا يقدسون الطبيعة في حياتهم اليومية.³

ثالثاً: أصل السكان

أخذ الإنسان يتدرج في الحضارة منذ زمن بعيد وأخذ ينتقل خطوة بعد أخرى حتى وصل إلى تحقيق كثير من الاختراعات التي ساعدته على توفير الراحة والأمن لنفسه ومكنته أيضاً من التغلب على كثير من الصعوبات بل والأخطار التي كانت تحدق به في حياته الأولى ، وليست قصة أصل الحضارة الإنسانية ثم مولودها وتطورها التي سلسلة متعاقبة بدأت في هذا الجزء من العالم الذي اصطلح العلماء على تسميته باسم بلاد الشرق الأدنى، مما نتج عن نوافذ الهجرات البشرية على منطقة العراق قديماً سواء بطريقة سلمية أو عدائية إلا أنها ساهمت في صنع مزيج من الأجناس⁴، البشرية لتكون المنطقة عبارة عن وعاء يحتضنها بالرغم من اختلاف منطلقاتهم

¹ - علي تامر وآخرون، المرجع السابق، ص 4.

² - أسماء بان، مرجع سابق، ص 17.

³ - أميغوليسكي، أسرار الآلهة والديانات، ترجمان ميخائيل إسحاق ص، ط4، دار علاء الدين، دمشق، 2009، ص21.

⁴ - أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم (مصر والعراق وسوريا واليمن) مختارات من الوثائق التاريخية، ط 2، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1963، ص 11.

وأفكارهم فيحصل ما يسمى بالتواصل الحضاري فيما¹ بينهم يقول الله عز وجل «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»².

لم يكن سكان بلاد الرافدين من الجنس واحد بل متعددة الأجناس، حيث توارد وإلى تلك من ناحيتين من الشرق انحدر إلى ضفاف الدجلة والفرات السومريون الذين تحدثوا بلغة من الصعب أن نعيدها إلى إحدى الأسر اللغوية ومن حيث المظهر الخارجي لا يمكن أن نخلط بين السومريين والشعوب الأخرى فالقامات القصيرة المدححة والوجوه المستديرة والأنوف البارزة وعدم إطلاق اللحي والشوارب كل هذا يميز سكان بلاد الرافدين وعن الشعوب السامية المجاورة أما من الغرب والشمال الغربي فقد نفذت إلى بلاد النهرين قبائل السامية ربما في نفس الوقت الذي انحدر فيه السومريون من الشرق وتشير جميع المعطيات إلى أن الوطن الأصلي لتلك القبائل السامية كان في الجزيرة العربية وشمال إفريقيا ثم عبرت إلى بلاد الرافدين، عن طريق فلسطين وسوريا وقد أطلق إلى الموجة السامية الأولى، وفيما بعد اسم الأكاديين نسبة إلى مدينة أكاد أما لغتهم قريبه من العبرية والعربية القديمة، فقد أصبحت تسمى اللغة الأكادية وتميز الأكاديون عن سومريين من المظهر الخارجي³.

¹ - أحمد فخري، المرجع السابق، ص 11.

² - القرآن الكريم: سورة الحجرات، الآية: 13.

³ - نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، د ط، دار الفكر، د س، دمشق، ص 17.

تمهيد:

يمكننا القول بأن عصور ما قبل التاريخ هي تلك العصور التي سبقت معرفة الإنسان للكتابة، والعصور الحجرية القديمة قد أخذت الجزء الأكبر من عمر المجتمع البشري، ولكن بالرغم من ذلك فإن المادة العلمية المتوفرة لدينا ضئيلة إذا ما اقتبست بالنسبة إلى هذا الرده الطويل من الزمن وليست لدينا صورة متكاملة عن تلك المسيرة بتعاقب زمني متواصل ودقيق وإنما هناك الكثير من الفراغات في هذه الصورة العامة، وما تبقى لدينا من عصور ما قبل التاريخ ما هو إلا بعض أدوات من الحجر اكتشفت صدفة، ولذا سمينا هذه العصور بالعصور الحجرية حيث أن الإنسان اقتصر استعماله على الحجارة بالدرجة الأولى إضافة إلى العظام حيث لم تكن المعادن معروفة آنذاك.¹

والملاحظ في الكثير من الأقطار التي تم فيها تعاقب التحري عن العصور الحجرية أن العصر الحجري الحديث لم يعقب العصر الحجري القديم مباشرة بل توجد ما بينهما فترة تختلف في قصرها وطولها² من قطر إلى آخر سميت بالعصر الحجري الوسيط، كما توجد فترة حضارية مهمة تفصل ما بين نهاية العصر الحجري الحديث وبين بداية الحضارة الناضجة أو بين العصر التاريخي في معظم أقطار الشرق الأدنى أطلق عليها مصطلح العصر الحجري المعدني.³

وتعارف الباحثين على تقسيم العصور الحجرية إلى ثلاث حقبة رئيسية وتحديد فتراتهما لتبتدئ قبل من نصف مليون سنة وتنتهي في حدود 20 - 10 آلاف سنة ق م باختلاف المصادر⁴، وهي العصر الحجري القديم (500 - 200) ألف سنة عاشت مخلوقات شبه بشرية واستخدام الإنسان الآلات والأدوات الطبيعية من حجارة وأغصان قبل أن يهتدي إلى صنعها في الجزء الأخير من هذه الحقبة.

¹ - نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج 1، دط، المكتبة الوطنية ببغداد، 1984، ص 79.

² - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، دار الوراق للنشر المحدود، 2009، ص 187.

³ - نفسه، ص 187.

⁴ - عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين، ط1، دار الهدى، 2004 م، ص ص 30-31.

وفي العصر الحجري الوسيط قبل (150-120) ألف سنة ظهر إنسان الكهوف وأفضل من يمثلهم هو إنسان نياندرتال¹ المتوحش المنقرض في حين تميز العصر الحجري الحديث قبل حوالي 35 سنة بظهور الإنسان العاقل بمؤشر هذا العصر حصول ثورة اقتصادية عظيمة تجسدت في اكتشاف ممارسة الزراعة وتدجين، وفي النصف الثاني من هذا العصر ظهر استخدام المعادن وهي الحقبة التي تسبق عصر فجر السلالات الذي ستشهد فيه المنطقة حياة التمدن وتعاضم حركة تنقلات أقوام.²

¹ - إنسان نياندرتال : وهو إنسان متوحش ظهر أول مرة في شكل مجموعات تسكن الكهوف يوقض النار ويؤكل اللحوم الحيوانية ويمثل إنسان نياندرتال ويمثله أيضا إنسان جبل طارق وإنسان جبل الكرمل في فلسطين. هنري س-عبودي، معجم الحضارات السامية، ط 2، جروس بروس، لبنان، 1991م، ص 105.

² - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 31.

أولاً: العصر الحجري القديم:

يمكن أن نبدأ دراستنا العصور ما قبل التاريخ بالحقبة التي يعبر عنها عند الجيولوجيون بالزمن الجيولوجي الرابع أو العصر البلوستوسين الذي قدم فيه الإنسان الأول باكورة إنتاجه من الحجر ويطلق عليه تسمية العصر الجليدي أيضا الذي تخللته أربع حقبة جليدية عظمى أدت إلى خفض درجة الحرارة القشرة الأرضية بوجه عام ¹، حيث كان المناخ في المناطق الجليدية بارداً جداً وهذه البرودة أثرت على الحياة النباتية والحيوانية والبشرية لكن هذه العصور الجليدية الأربعة تخللتها حقبة شهدت خلالها أوروبا وأمريكا الدفئ النسبي بينما شهدت المناطق الجنوبية الواقعة تحت خطوط الجليدية من ضمنها الشرق الأدنى التي لم تصل إليها الزحف الجليدي عسراً ممطراً حتى الصحاري القاحلة حالياً مثل صحراء شبه الجزيرة العربية، وصحراء إفريقيا كانت تتمتع بحياة وفيرة ²، والتي أثرت في عوارض العراق الجغرافية مثل شطآن أنه ارة وسعة أوديته هذه الأنهار حيث كميات جسيمة من المياه التي كانت تملؤها، كما أن الأمطار الغزيرة التي كانت تعم في العصور الجليدية قد نجم عنها تكوين الوديان الواسعة في سفوح كردستان وأن مناطق البوادي التي حلت الآن كانت عمارة بالحياة اليومية النباتية والحيوانية وخاصة في مناطق شمال العراق ³.

ويميل الجيولوجيون إلى تقسيم عصر البلوستوسين إلى ثلاث مراحل مرحلة البلوستوسين الأسفل وحدثت فيه الموجة الجليدية الأولى، مرحلة البلوستوسين الأوسط وحدثت فيه الموجتان الجليديتان الثانية والثالثة، ومرحلة البلوستوسين الأعلى حدثت فيه الموجة الجليدية الرابعة أما الأنثروبولوجيون وهم المختصون بدراسة الإنسان يطلقون على عصر البلوستوسين تسمية العصر الحجري القديم (الباليولوتي ويقسمونه بدورهم إلى ثلاث العصور الحجري القديم الأسفل والأوسط

¹ - محمد عبد اللطيف محمد علي، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق م ، دط ، مكتبة الإسكندرية، 1977، ص ص 22-23.

² - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 32.

³ - طه باقر، المرجع السابق، ص 200.

والأعلى¹، ويرجع هذا العصر إلى أكثر من مليون وسبعمائة ألف سنة وقد استغرق هذا العصر فترة طويلة من الزمن عاش الإنسان خلالها مرحلة الترحال والتنقل²، ولعل من اللافت للنظر أن الآثار التي عثر عليها في العراق القديم (ميزوبوتامي) من العصر الحجري القديم إنما أتت من شمال العراق دون جنوبه³، ففي هذه المنطقة عاش العراقيون الأوائل على شكل جماعات كانت تسكن الكهوف وتعتمد على الصيد وجمع الغذاء⁴.

ولعل من الأشياء المهمة في هذا العصر هو اكتشاف الإنسان للنار وكيفية إضرامها حيث استفادت منها في التدفئة والطبخ وحماية من الحيوانات التي كانت ألد أعدائه في صراعه مع الطبيعة، ثم أن النار كانت عاملاً محفزاً على نشوء الاجتماع الإنساني حيث يجتمع الأفراد والعائلات⁵.

1- العصر الحجري القديم الأسفل (الأدنى):

لم يعثر لحد الآن على آثار واضحة سميناه بالعصر الحجري القديم الأدنى باستثناء ملتقطات سطحية هنا وهناك مشكوك في نسبتها إلى دور واضح من أدوار هذا العصر التي عدناها في القسم الأول من بحثنا، وقبيل ذلك الأدوات الحجرية التي التقطتها مديرية الآثار العامة (1949) في الموضع المسمى (برده بلكا) الواقعة على نحو ميل ونصف شمال شرق جمجمال⁶، على الطريق المؤدي إلى سلمانبة، والمرجح أن اسم هذا الموضع أي (برده بلكا) مشتقاً من النصب أو الحجر القائم الذي يحتمل أنه يعود في زمنه إلى العصر الحجري الحديث قبل نحو 800 عام وأعقب جمع مثل تلك الملتقطات السطحية تحريات أثرية صغيرة أجراها في

¹ - محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 23.

² - محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، دط، دار المعرفة المصرية، دس، دب، ص 5.

³ - برهان الدين دلو، حضارة العراق ومصر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، ط 1، دار الفرابي، 1989، دار الفارسي، لبنان، ص 237.

⁴ - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص 80.

⁵ - دحام اسماعيل العاني، موجز تاريخ العالم، ج 1، دط، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، دب، 2002، ص 12.

⁶ - أبو محاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر، دط، مطبعة المصرية، دب، دس، ص 334.

هذا الموضوع الباحثان الأمريكيان رايت وهاو، حيث تأكد نتيجة أن الأدوات الحجرية الملتقطة يعود إلى مستوطن بشري¹ عاش في هذا الدور الأول من العصر الحجري الأدنى سكن في العراق ولكنه انقرض وعثر على بعض هياكل عظيمة في مختلف بقاع الأرض أو ثمرته الطمي والحصى في عصر ممطر، فأصبح تحت مستوى سطح الأرض بنحو خمسة أقدام² وظهرت بين الآثار بقايا عظام الفيل ووحيد الثيران والأغنام واليتوس البرية، ويبدو أن صناعة تلك الآلات تعود إلى أواخر العصر الأشولي غير أن معظمها من العصر الحجري القديم الأوسط وسببه هذا الاختلاط بفضل تسميتها بالآلات المرشولية³ مما يجعل زمن الإستيطان في هذا المكان في الفترة ما بين 100000 أو 60000 سنة مضت، وعثر على ملتقطات سطحية أثناء المسوحات الأثرية والتنقيبات الإنقاذية في عدة مواضع بهيئة الآلات وأدوات حجرية⁴ أبرزها من الفؤوس اليدوية⁵ والشظايا⁶ حيث تتميز هذه الأدوات بصغر حجمها وتنوع أشكالها حتى تمكن الإنسان من تحقيق أغراضه المختلفة في نبش الأرض لإخراج الجذور النباتية التي

¹ - طه باقر، المرجع السابق، ص 200.

² - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص 81.

³ - المرشولية: ويعود تاريخ هذه المرحلة في حدود سنة 75000 ق.م ولقد تخلفت عنها آثار كثيرة في أوروبا والولايات المتحدة والمكسيك وإفريقيا والشرق الأدنى والهند والصين حيث أن الإنسان هذه المرحلة لم يقف عند حد الآلات التي استخدمت في المراحل التي سبقت بل أبدع أنواعا كثيرة من الآلات الخاصة ولهذا تعتبر منتجات إنسان هذه المرحلة تشير إلى مرحلة نشطة في الصناعة البشرية. عبد الحميد فاضل البياتي، تاريخ الفن العراقي، د ط، كلية الفنون الجميلة، د د، د س، ص 6.

⁴ - تقي الدين الدباغ، الوطن العربي في العصور الحجرية، ط 1، دار شؤون الثقافة العامة بغداد، 1988، ص 74.

⁵ - الفأس اليدوية: التي كانت عبارة عن كتلة حجرية مهذبة مربوطة على قطعة خشبية مأخوذة من أغصان الأشجار لا يزيد طولها ساعد على طول ساعد اليد الإنسان والحقيقة أن آثار عصور ما قبل التاريخ لم تقدم لنا أية معلومة أكيدة عن طول تلك القطعة الخشبية إلا أن القانون الفيزيائي الذي ينص على قوة في ذراعها تساوي المقاومة في ذراعها يؤكد على أن طول تلك الخشبة لا يزيد عن طول ساعد مادامت يد الإنسان تمثل المقاومة، والفأس وخشبها يمثلان القوة، للمزيد ينظر نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 40.

⁶ - الشظايا: وهي على العموم تصنع من بتحويل الشظية المنفصلة من الصخور بالضرب أو بالتكسير قطع صغير جدا من حافات الشظية بآلات مدببة لتصبح حادة مسننة وتتميز شظايا التي صنعها الإنسان بسطوح ناعمة بسبب الإستعمال وتنويه ما تخرج منها بينها تكون الشظايا المصنوعة لها شكل خاص أما الشظايا الطبيعية فليس لها شكل معين ومحدود والشظايا المصنوعة ذات حافات ومهذبة أما الشظية الطبيعية ليس لها مثل هذه الحافات. نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 101.

يأكلها،¹ ولتكون أداة دفاعية يرمي بها ما يهاجمه من حيوان ويطلق على هذا الإنتاج الحضاري المبكر للإنسان اسم الحضارة الشيلية² التي تعود إلى ضاحية بالقرب من باريس³، وقد طور الإنسان فيها خلال العصر الحجري القديم الأسفل حيث رقق من سمك الأداة الحجرية وشطفها من جميع الجوانب لتصبح قاطعة كما يطلق عليها الأدوات الحجرية ذات الحدين ولا شك أن ما تتأثر من شظايا النواة الحجرية عند ترقيق الإنسان لسمكها قد ألهمه بعد تجربته لهذه الشظايا باستخدامها في مرحلة كأداة حجرية بدلا من النواة⁴ الكاملة التي استخدمها في مرحلة العصر الحجري الأسفل، ويتواصل الإنسان إلى استخدام هذه الشظايا المفصولة عن النواة الحجرية، تنتقل بإنتاجه الحضاري إلى مرحلة جديدة من التطور وهي مرحلة العصر الحجري الأوسط.⁵

2- العصر الحجري القديم الأوسط:

يطلق على هذا العصر تسمية لفالوازي أي المستيري⁶، ويقع زمنه في أواخر الفترة الجليدية الثالثة وفي العصر الجليدي الرابع وكان أقدم اكتشاف للأدوات الحجرية التي ترجع إلى هذا العصر في العراق ما أظهرته تحريات الباحثة الأمريكية " دوروش كارود " في الكهف المسمى (هزارميرد الواقع على بعد 12 ميلا من الجنوب السلمانية) في عام (1948) حيث وجدت الأدوات الحجرية من هذا العصر في أسفل طبقات من هذا الكهف⁷ وتمثلت هذه الأدوات في قاشطات وسكاكين ورؤوس سهام ورماح والتي تميزت بخفة وزنها وصغر حجمها على الأدوات السابقة، ولذلك ينتقل بها الإنسان من مكان إلى آخر ببسر، وصنع منها أشكالا متنوعة مثل ما

¹ - أحمد أمين سليم، مرجع سابق، ص 221.

² - الشيلية: نسبة لمدينة شيلز بفرنسا والتي توجد فيها أول مرة آثار تعود لهذه المرحلة. عبد الحميد فاضل البياتي، مرجع سابق، ص 6. ينظر الملحق 03، ص 89.

³ - محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 24-25.

⁴ - النواة: هي آلات حادة فيجانب واحد أو جانبين تصنع من لب الحجارة أو نواتها بعد كسر قشرتها الخارجية وتحويل النواة إلى آلة لها شكل القلب أو القرص أو للوزة وتبدوا هذه الآلة ذات نهاية مدببة وحافات حادة تدور أحيانا حول محيط الآلات.

للمزيد ينظر: نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 100.

⁵ - محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 25.

⁶ - المستيري: نسبة إلى موقع لاموستيري بفرنسا وجد فيه لأول مرة آثار هذه المرحلة. عبد الحميد فاضل البياتي، مرجع سابق، ص 6.

⁷ - طه باقر، المرجع السابق، ص 200. ينظر الملحق 03، ص 90.

ينسب الأزاميل والمخارز والمحكات، ليستخدمها في أغراض مختلفة لتقي بحاجياته التي تعددت في هذه المرحلة الحضارية.¹

غير أن أهم التحريات تمثلت في التنقيبات بعثة جامعة مكشين والمعهد السمستوني التي بدأت في عام 1951 في كهف شنيدر واستمرت من عام 1961، على ارتفاع 2100 قدم فوق مستوى سطح الأرض بعد قليل من الضفة اليسرى للزاب الأعلى، وهو من أوسع الكهوف في شمال العراق، إذا بلغ عرض فتحته 27 متراً وارتفاعه 8 أمتار وطوله 40 متراً ويتسع عرضه من الداخل حتى يصل إلى 60 متراً تقريباً² وتم العثور على بقايا أربع حضارات متدرجة التطور وأقدم هذه الحضارات يعود إلى نهاية العصر الحجري القديم الأدنى وبداية العصر الحجري الأوسط وصولاً إلى العصر الحجري القديم الأعلى³ وقد كشف في أرضية هذا الكهف على أربع طبقات أثرية متعاقبة ن عثر من أقدمها الطبقة (D) على بقايا أدوات حجرية ترجع إلى مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط⁴ كما عثر على عظام مهشة لإنسان نيادرتال، أحدها لطفل لم يكمل عامه الأول، وأما الثلاثة الأخرى فكانوا الأشخاص بالغين.⁵

ووجدت مع العظمية الآدمية آلات حجرية وبقايا عظام حيوانات وحشية للغزلان والثيران والتبوس مما يدل على أن الأصول الوحشية للحيوانات التي دجنت في العصر الحجري الحديث كانت موجودة في هذا الوقت بل وقبل هذا الوقت⁶، وأهم المكتشفات في هياكل عظام إنسان نيادرتال نفسه التي تمثل أولى بقايا عظمية لإنسان العصر الحجري القديم.⁷

¹ - محمد عبد اللطيف محمد علي، مرجع سابق، ص 25.

² - تقي الدين دباغ، المرجع السابق، ص 75.

³ - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص 84.

⁴ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 222.

⁵ - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 6.

⁶ - تقي الدين دباغ، المرجع السابق، ص 76.

⁷ - نفسه، ص 76. ينظر الملحق 05، ص 91.

ونتهي هذه الملاحظات عن نتائج التحريات في كهف شنايدر بذكر رأي بعض الباحثين¹ هي وجوه شبه كبيرين إنسان نيادرتال الشنايدري وإنسان نيادرتال المكتشف في جبل الكرمل² في فلسطين، والمرجح أن أحدهما أو لكليهما علاقة تطورية بيولوجية بظهور إنسان أو نوع الإنسان الحديث أي الإنسان العاقل.³

3- العصر الحجري القديم الأعلى:

وفيما يتصل بمرحلة العصر الحجري القديم الأعلى التي تعتبر نهاية العصر الحجري القديم⁴، وأن زمنه يرجح إلى أواخر العصور الجليدية، أي العصر الجليدي الرابع وبانتهائه حلت حلت فترة الجليدية الراهنة⁵ ووجدت آثار العصر الحجري القديم الأعلى من تاريخ يتراوح بين 53000 و 16000 سنة⁶ وأبرز ما يميز هذا العصر الحجري، بالإضافة إلى نوع أدواته الحجرية المتميزة بصناعتها وأشكالها، ظهور نوع الإنسان العاقل أو الإنسان الحديث، كما عدنا أطواره في أوروبا أما في العراق فقد ارتأى منقب كهف شنايدر الأستاذ سوليكي تسمية هذا العصر بجميع أطواره بإسم الدور (البرادوستي نسبة إلى جبال برادوست المعروفة التي تقع فيها كهف شنايدر نفسه وجدت الأدوات الحجرية الممثلة لهذا العصر في عدة أماكن في شمال العراق من بينها جملة كهوف استوطنها إنسان ذلك العصر، وكان أقدم اكتشاف لأدواته الحجرية في العراق ما وجدته الباحثة كارو⁷، الذي يقع على يمين الطريق العام إلى السلمانية بعد اجتيازها طاسلوجة وقبل الدول إلى مدينة السلمانية بنحو 13 كيلو مترا وكانت الآلات عبارة

¹ - طه باقر، المرجع السابق، ص 205.

² - جبل الكرمل: وهو جبل في فلسطين مشرف على مدينة حيفا، قدم عليه النبي إيليا حرقاً ليثبت لكهنة بعل أن يهوه وحده الإله حقيقي التي وجدت به هياكل للإنسان نياندرتال المتحجر من عصور ما قبل التاريخ، في مغارة السخول فلسطين. وللمزيد ينظر: هنري -س عبودي، مرجع سابق، ص 714.

³ - الإنسان العاقل أول الحديث: ويرجع إلى مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى، محمد عبد اللطيف محمد علي، مرجع سابق، ص 22.

⁴ - أحمد سليم أمين، المرجع السابق، ص 222.

⁵ - طه باقر، المرجع السابق، ص 205.

⁶ - تقي الدين دباغ، المرجع السابق، ص 77.

⁷ - طه باقر، المرجع السابق، ص 205. ينظر الملحق 04، ص 90.

عن نصال¹ طويلة متخصصة مصنوعة من حجر الصوان ومن الزجاج البركاني، ووجدت معها عظام بعض الحيوانات الغير الأليفة لأن الصيد كان لا يزال حرفة للإنسان إلى جانب الجمع والإلتقاط غير أن أهم المكتشفات التي تعود لهذا العصر هي تلك التي وجدها رالف سوليكي في الطبقة (C) في كهف شانيدر² وقد أكن تقدير زمن هذه الطبقة أي زمن العصر الحجري القديم الأعلى المسمى في العراق كما قمنا بطريقة فحص كربون 14 بين (34,000) و (25,000) ق. م ويمثل الرقم الأول النهاية العظمى والرقم الثاني النهاية الصغرى، والغالب على الأدوات الحجرية الخاصة بهذا العصر أنها من نوع الأدوات النصلية أو النصال وهي الصناعة التي قلنا إنها تميز هذا العصر، على أن هناك أدوات خاصة بشمال العراق تسمى الأزاميل³ كما استخدم إنسان هذه المرحلة الحضارية مواد أخرى في صناعة غير الحجر وخاصة العظام مما يعبر عن اتساع نطاق استغلاله للبيئة المحيطة به واستفادته من مصادرها وانتهى الإنسان في مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى إلى إنتاج الأسلحة الحجرية الصغيرة للغاية يطلق عليها في المصطلح الدولي تسمية الأسلحة القرمزية، وقد بذل الإنسان جهدا كبيرا في صناعة هذه الأسلحة القرمزية بتشيبيها لتصبح شبه مستقيمة وقطع جوانبها قطعاً مائلاً لتصبح أقل عرضة للكسر⁴، كما سهل عليه حمل العديد منها وربما ثبتها في مقابض من العظام والخشب (أغصان الأشجار) ليصل بها في آفاق لم تكن في متناول يده مثل ثمار الأشجار العالية، ومن أهم استخدامات هذه الأسلحة القرمزية رؤوس الحراب التي يمثل إنتاجها كأداة حرب تطوراً هاماً وفعلاً في حياة الإنسان تقضي بسرعة على عدوه كما توفر له يسر

¹ - النصال: وهي نوع من أنواع الشظايا ولكن صناعيتها أدق وشكلها أكثر انتظاماً ولها صفة الاختصاص في العمل، شاع صنعها واستعمالها في أواخر العصر الحجري القديم وحلت بالتدريج محل الشظايا بالموسستيرية وبدل انتشارها على هجرات كثيرة للإنسان العاقل أثناء المراحل الأخيرة من الزحف الجليدي وللمزيد ينظر، نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 103.

² - تقي الدين دباغ، المرجع السابق، ص 77.

³ - طه باقر، المرجع السابق، ص 206.

⁴ - محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 27.

صيده من الحيوان وعلى ذلك فإنه يرجح أن الإنتاج الحضاري يمثل المرحلة الأخيرة من العصر الحجري القديم الأعلى¹.

ثانياً: العصر الحجري الوسيط:

حدث الانتقال في العراق تدريجياً من الصيد والجمع والعيش في الكهوف إلى الزراعة والرعي والسكن في قرى عبد العصر المتوسط² ويعتبر العصر الحجري المتوسط مرحلة الانتقال ما بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث الذي احترف فيه الإنسان الزراعة واستقر في قرى، ويمتد العصر الحجري المتوسط من حوالي عام 10.000 إلى 7000 ق م³. وكان ذلك بعد ذوبان الجليد ورجوعه إلى خطوط العرض التي يشغلها الآن ، ففي ذلك الوقت اعتدل المناخ وتغيرت علاقة الإنسان بالنسبة تدريجياً لتلائم الظروف الطبيعية الجديدة واختفت حيوانات الصيد الكبيرة وحلت محلها الحيوانات التي تعيش في الوقت الحاضر وظهرت مجالات جديدة للاستقرار⁴.

كما كشفت التنقيبات الأثرية في السنوات الأخيرة عن آثار هذه المرحلة الانتقالية في عدد من مواقع بالعراق آثرنا ذكرها قبل غيرها لأنها تدل على أنها أقدم في الزمن وأسبق في التطور فقد وجدت مخلفات في عدة أماكن بعضها كهوف وملاجئ جبلية وبعضها على هيئة قرى ومستوطنات⁵.

وكان أول موقع اكتشفت فيه هذه الآثار هو⁶ كهف زارزي⁷ في منطقة السليمانية، ووجدت أدواته الحجرية الخاصة في عدة أماكن من شمال العراق⁸، إذ وجدت وفرة من الآلات الحجرية

¹ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 222.

² - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص 111.

³ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 222.

⁴ - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 111.

⁵ - تقي الدين دباغ، مرجع سابق، ص 75.

⁶ - نفسه، ص 75.

⁷ - زارزي: وهي مغارة على الزاب الصغير في العراق، عثر فيها على آثار سكنى تعود إلى عشر آلاف عام ق.م، هنري س عبودي، ص 437.

⁸ - طه باقر، المرجع السابق، ص 208.

الصوانية الدقيقة الصنع الهندسية الشكل التي استخدمت في الصيد وفي حصد النباتات البرية، وسميت صناعات هذا العصر في العراق بصناعة الزرززية هذا نسبة إلى اسم هذا الكهف وعُثر على آلات مماثلة في موقع بالي كوزا، بمحافظة السلمانية أيضاً إذ وجدت آلات حجرية دقيقة ذات أشكال هندسية، وعظام حيوانات يعود القليل منها لأنواع داجنة، ووجدت مجارش وهاونات¹ ومدقات تدل على محاولات أولية في حقل الزراعة والتدجين، ويعود زمن هذه الآلات حسب اختبار كربون 14 المشع إلى 1400 (زائد أو ناقص 280)².

واستخرجت أيضاً من الطبقة الثانية (B) في كهف شانيدر بمنطقة السلمانية، وتبين من اختبار كربون 14 إشعاعي على المواد العضوية أن هذه الآثار تعود إلى نحو 12800 سنة مضت، ووجدت آثارها بشكل أوضح في موقع كريم شاهر بالقرب من كركوك³ فهو منطقة استقرار موسمي⁴ أسوة بزاوي جمى، ولو أن مخلفاته الأثرية لا تتضمن بقايا واضحة للمنازل أو الأكواخ وأهم ما يتميز به الإنتاج الحضاري من موقع كريم شاهر المناجل الحادة من الطران⁵ والتي استخدمت على الأرجح في حصاد زراعة البرية وديمتين من الطين المحروق تعتبران ابتكار خاصا بهذا الموقع⁶.

أما موقع ملفعاتي، فيما بين الموصل وأربيل، فتكشف مخلفاته الأثرية التي تؤرخ بنهاية الألف السادس قبل الميلاد، عن بقايا حيطان حجرية غير منتظمة الشكل لمسكن بيبضاوية وقد عثري في بقاياها على عدة احتوت على بقايا أثرية أغلبها تشبه في نوعيتها إنتاج كريم شاهر

¹ - هاونات: جمع كلمة هاون وهو حجارة مجوفة من مهشم حجري اسطواني الشكل لسحق البذور أو الحبوب فيه. نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 104.

² - بقي الدين دباغ، مرجع سابق، ص ص 75-76.

³ - كركوك: منطقة في شمال العراق اشتهرت منذ العهدين الأشوري والبابلي، أطلق عليها الساسانيون اسم (كرمكان) والساميون اسم بيت جرماي. هنري -س عبودي، مرجع سابق، ص 714.

⁴ - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 112.

⁵ - الطران: وهي جمع ظر وهي قطع الصوانات المصنوعة على شكل أدوات في الأزمنة القديمة. ه-ج-ولز، معالم تاريخ الإنسانية، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، م1، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 94.

⁶ - محمد عبد اللطيف، محمد علي، المرجع السابق، ص27.

الحضاري، وأما الموقع جرد شاي¹ الذي يقع على تل على رابية ارتفاعها 12 متر وهي على الضفة اليسرى من الزاب الأعلى بالقرب من قرية كردمأمك، وتقدر مساحته بنحو 90 × 60 متر واستغلت هنا أيضا المس برومان في نهاية عام 1944 عن بعثة بريد وود وحفرة في أعلى التل حفرت وقفعت في المنحدر مقطعا، وتبين من هذه الحفريات أن القسم العلوي من التل كثيرا من كسرات الفخار وأكثره من النوع الخشن الصنع، سمج، طينية غير مصفاة، حمراء اللون وقد يرجع تاريخه إلى أدوار متأخرة لا علاقة لها بالصوان المكتشف تحت ذلك².

وعُثر فيها تحت الطبقة العليا على كثير من أدوات الصوان المتنوعة وبينه الميكروليت ويعتقد أن موقع كردجاي يرجع بعده إلى العصر الميسوليثي ويناظر زمنه زمن ملفعات فعصره يقع بين كريم شاهر وجرموا، بل هو أقرب إلى جرموا منه إلى كريم شاهر³.
أما بالنسبة لقرية زاوي جمي فهي مستوطنة تقع في منطقة سهلية مكشوفة تحيط بها الجبال العالية، وتشغل مساحة محدودة للغاية إذ لا يتجاوز امتدادها 275 × 215 متراً، وربما كانت منطقة استقرار موسمي بمضي فيها السكان فترة الصيف ثم ينتقلون في فصل الشتاء إلى كهف شنيدر المجاور⁴، والذي كشف فيه (في قاع طبقة A وأعلى الطبقة B) عن إنتاج العصر الحجري الوسيط، وجبانة من هذه الفترة دفن فيها ستة وعشرون فرداً معظمهم الأطفال وقد أسفر التنقيب الأثري بقرية زاوي جمي تسمي على طبقتين استقرار العليا A - حديث العهد المؤرخ فيما بين القرنين السادس عشر والتاسع ميلاديين، أما السفلى (B) فهي التي سنتناولها بالدراسة أن تؤرخ بالعصر الحجري المتوسط⁵ ولعل من الأهمية يمكن الإشارة إلى هنا إلى أنه قد حدث في بداية الألف التاسع قبل الميلاد⁶، تحول نحو الزراعة البرية، واستئناس بالحيوان، كما يشير إلى ذلك إنتاج قرية زاوي جمي زراعي (طبقة B) إنما تخلص من إنتاج

¹ - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 7.

² - فرج بصمة جي، العصور الحجرية في العراق في ضوء المكتشفات الحديثة، دط، دد، دب، دس، ص 125.

³ - نفسه، ص ص 125، 126.

⁴ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 223.

⁵ - محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 36.

⁶ - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 8.

الفخار، وأن تضمن إنتاجها الأجران وأحجار الجرش ومقابض، وبقايا العصر والسلال، الأمر الذي يشير إلى اقتصاد يعتمد على الزراعة البرية، فيما يرجع البعض وهي زراعة لم يمارسها القوم وقت ذاك كحرفة، فضلاً عن الاعتماد على الزراعة البرية¹، وعلى صيد واستئناس بالحيوان، كمصدر للغذاء أساسي إذ احتوت مخلفات الطبقة الأثرية (B) على العديد من عظام الماعز والأغنام والغزلان، فضلاً عن محار القواقع التي يبدو أنها من كانت تمثل جزءاً من غذاء السكاني².

وتعد قرية زاوي جمى من أقدم المناطق الاستقرار في العراق القديم وبالرغم من العثور على بعض الأدوات الخاصة بالزراعة وتجهيز الطعام كالأجران والمطاحن اليدوية، إلا أنه يحتمل أن الإنسان هذه القرية كان لا يزال يعتمد في غذائه على النباتات البرية³.

وأن تاريخ الطبقة (B) في كهف شانيدر المعاصر لقرية زاوي جمى يعود إلى 10935 (زائد وناقص 300 سنة)، وبذلك يمكن تقدير زمن هذه القرية في شمال العراق في حدود ألف العاشر قبل الميلاد وبداية الألف التاسع قبل الميلاد، ويضاهي هذا التاريخ الزمن المقدر بحوالي 9250 سنة مضت لمعبد أريحة في العصر الناطوفي الذي يمثل العصر الحجري المتوسط⁴ في فلسطين بالعصر الناطوفي⁵ هذا الاسم نسبة لوادي الناطوفي⁶ في شمال غرب القدس حيث حيث جرى التنقيب في عام 1928 في كهف شقبة⁷.

¹ - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 8.

² - محمد عبد اللطيف، محمد علي، المرجع السابق، ص 26.

³ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 224.

⁴ - تقي الدين دباغ، المرجع السابق، ص 88.

⁵ - نحة من الباحثين العراقيين، ص 112.

⁶ - وادي الناطوف: وهو واد في فلسطين وقد عاشوا النطوفيون، كما كان عليه الحال في شمال العراق، الكهوف وفي القرى ومستوطنات مكشوفة، واعتمدوا الصيد وجمع القوت في تأمين قوتهم، كما جمعوا الحبوب البرية. للمزيد ينظر: هـ-س عبودي، مرجع سابق، ص 207.

⁷ - تقي الدين دباغ، مرجع سابق، ص 88. ينظر الملحق 06، ص 92.

ثالثاً: العصر الحجري الحديث:

تعتبر مرحلة العصر الحجري الحديث من أهم المراحل في الحياة الإنسان¹ ففي هذا العصر الذي يبدأ في العراق بالألف السادس قبل الميلاد انتقل العراقيون من الصيد والجمع الغذاء إلى الزراعة².

فكان هذا العصر أساساً جديداً في اقتصاد الإنسان هو الزراعة التي أصبحت الحرفة الرئيسية له، والتي تحول بموجب احترافها من الحياة الصيد والجمع إلى إنتاج الطعام الذي عبر عنه بحفظ بقايا الحبوب، ولما تطلب الزراعة المستقرة جهوداً بشرية أكثر من الحياة السابقة كما تطلبت أيضاً الارتباط برقعة معينة من الأرض، فقد قامت القرى التي تضم عدداً أكبر من المساكن والأفراد، والتي تعتبر عن الاستقرار دائم ولم تعد مجرد مواقع استقرار موسمية كما كان عليه الحال على الأرجح في العصر الحجري الوسيط³ وتتمثل آثار هذا العصر في حضارة جرموا في (لو كركوك) وحسونة (في لواء الموصل، وسامراء في لواء بغداد)⁴ جرموا أولى قرى العصر الحجري الحديث، نبدأ من قرى العصر الحجري الحديث في شمال العراق يوصف الموضع أثري المسمي جرموا، أقدم مستوطن زراعي من المستوطنات ذلك العصر⁵. على الرغم من مرور أكثر من ثلاثين سنة على البدء بالتنقيبات في قرية جرموا نسبة إلى قرية جرموا الحديثة فيما تزل آثار هذه القرية تتمتع بأولوية باعتبارها أقدم القرى الزراعية المكتشفة إلى حد الآن⁶.

تقع أطلال هذه القرية على أحد عشر كيلو متراً شرقي بلدة جمجمال، ممتدة في مساحة يبلغ معدلها 1400 متر مربع، وترتفع عن مستوى السهل المجاور بما يقرب من 23 قدماً، اكتشفت خرائبها المديرية العامة للآثار والتراث، ثم شرعت بعثة من جامعة شيكاغو بالحفر فيها

¹ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 225.

² - Peter charva Mesopotamia before history routledge london uk 2005p6

³ - محمد عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ص، 27، 28.

⁴ - أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص 334.

⁵ - طه باقر، المرجع السابق، ص 218.

⁶ - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص 121.

عام 1948 واستمرت لغاية 1955 وقد أسفرت الحفريات عن كشف 16 طبقة أثرية متتالية¹، ويؤرخ أقدمها بحوالي 6750 ق.م، وتضم ما بين 20 و 25 منزلاً، ويقدر سكانها بحوالي 150 فرداً، وأن قدرها بحوالي 50 بيت² تضم حوالي 300 فرداً وكانت الإحدى عشر طبقة الأولى منه (ابتداء من الأسفل) خالية من الآثار الفخارية، فترجع هذه الطبقات الأثرية في جرموا إلى الطور القديم من العصر الحجري الحديث الذي فيه صنع الفخار، ولذلك سمي طور ما قبل الفخار، وقد وجد مثل هذا الطور في جملة³ مستوطنات قديمة نذكر منها قرية أريحة في فلسطين ومنحاطة بوادي الأردن وخوية التتور في جنوب لبنان وجتل أيوك بآسيا الصغرى⁴. وفي جرموا وجدت الصناعات الفخارية في الطبقات الخمس العليا فقط، وكان الفخار الطبقتين الخامسة والرابعة أحسن أنواع التي ظهرت في هذه القرية ولكن الأواني الفخارية بوجه عام تدل على أنها سمجة سميكة الجدران هشة بسبب إعدادها في درجة الحرارة منخفضة نسبياً وطينتها غير نقية مخلوطة بشوائب كثيرة وهي غير مدلوكة وغير مزخرفة⁵. ولكن قليل من فخار الطبقة الخامسة والرابعة كان مزيئاً بخطوط متقاطعة بلون أحمر واسود، لقد وجد مثل هذا الفخار في قرية شمشارة في سهل رانية وهي قرية تسمى كرد علي آغا على الضفة اليسرى لنهر الزاب الكبير⁶ على بعد خمسة وسبعين كيلو متر شرقي نينوى⁷، كشفت في قرية جرموا على أمور مهمة عن العصر الحجري الحديث شمال العراق بوجه خاص ومنطقة الشرق الأدنى بوجه عام.

¹ - تقي الدين دباغ، مرجع سابق، ص 114.

² - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 11.

³ - طه باقر، المرجع السابق، ص 218.

⁴ - تقي الدين دباغ، المرجع السابق، ص 114.

⁵ - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص 122.

⁶ - الزاب الكبير : ينبع هذا النهر من ترقية بالقرب من الحدود الإيرانية يتصل بدجلة بالقرب من الموصل، طوله 230 كلم للمزيد ينظر: هنري س-عبودي.

⁷ - تقي الدين دباغ، مرجع سابق، ص 115.

ففي هذه القرية التي تعد أولى القرى لفلاحة نجد خلاصة تجارب الأطوار السابقة في اختيار نوع الحبوب البرية منها القمح المسمى (emmer wheat) الذي ظل من ناحية تركيبة قريباً من أصل الوحشي، ولكن ظهر إلى جانبه هذا النوع المسمى (enko whoat) وكذلك نوع الشعير المسمى (Hulledtwo – rowbarley)، والعدس والحمص¹.

ووجدت كميات من هذه الأنواع من الحبوب (مكرنة) أي على هيئة فحم (carboviyed) واستمر استعمال أثمار بعض الأشجار التي كانت تجمع في أطوار ما قبل الزراعة لغناها بالمواد الدهنية المغذية مثل البلوط والفسق² وقد استأنس الإنسان بالماعر والكلاب والأغنام والخنازير وقد شيدت المنازل من كتل الطين المكبوس، وأحياناً يلاحظ أنه كان لبعضها أساس من الحجر، وسويت حيطان المنازل بطبقة من الطين كملاط، وغطيت أرضية المنازل بحزم من البوص الذي غطي بطبقة من الملاط وصممت المنازل عن هيئة مستطيلة وكانت تتكون من عدد من الحجرات³.

ويعبر إنتاج الأدوات الحجرية من حضارة جرموا عن شيوع استخدام الأسلحة القزمية التي تعددت أشكالها وصنع العدد منها من حجر الأوبسيديان، كما أضيف الأوبسيديان إلى النصال الحجرية ليضفى عليها فعالية أكثر، وقد تطورت الصناعة الحجرية بدرجة كبيرة في حضارة جرموا، ففضلاً عن الأدوات المتصلة بالعمل الزراعي مثل المناجل والفؤوس الحادة والحواف والأجران⁴ والمجارس، المحكات الرقيقة التي استخدمت للطحن المعرة أو الآنية الحجرية ورؤوس ورؤوس المقامع وعدد من الأقراص المنقوبة والخواتم، واستخدم إنسان مجتمعت جرموا العظم أيضاً في صناعة بعض أدواته مثل المخارز والإبر⁵.

¹ - طه باقر، المرجع السابق، ص 219.

² - نفسه، ص 219.

³ - أحمد أمين سليم، مرجع سابق، ص 226.

⁴ - محمد عبد اللطيف محمد علي، مرجع سابق، ص 40.

⁵ - نفسه، ص 40.

وكانت العادة الغالبة في طرق الدفن أن يلحد الميت في قبر يحفر تحت أراضي بيوت السكن، وفي وسعنا أن نلمح الطرق من الحياة الدينية من قرية (جرموا) من دلالة دمي الطين التي تمثل الحيوانات المختلفة، وكذلك الدمى التي تمثل نسوة بديئات حبالى من النوع الذي فسر بأنه أقدم نموذج لما أطلق عليه اسم الآلهة - الأم (Malher Goddess) التي ترمز لقوى الخصب والإنجاب وقوى الطبيعة المولد الغامضة¹.

وخلاصة أن قرية جرموا تمثل أقدم القرى الفلاحية وقد تأسست حين صارت الزراعة وتدجين الحيوان عماد الحياة الإنسان منذ انقلاب العصر الحجري الحديث في الألف الثامن قبل الميلاد، يبدأ هذا التحول كان آنذاك يتصف بالاكتماء الذاتي أي أن العائلة مزارعة تنتج بنفسها وتصنع الأدوات البدائية الخاصة بها ولم يظهر التخصص الكامل بعد في حياة الإنسان ومع ذلك فقد كان² هذا التحول الاقتصادي يحمل جنبين التطورات التي حصلت تدريجياً في القرى التي تأسست في العصور التالية³.

¹ - طه باقر، المرجع السابق، ص 220.

² - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص 124.

³ - نفسه، ص 124.

خلاصة الفصل:

وخلاصة القول نستنتج أن العصور الحجرية القديمة اكتشف أبرز إسهامات في تقدم البشرية وتطورها من صنع آلات واكتشاف النار واللغة والزراعة وتدجين الحيوان الزراعي التي بدأت في الشرق الأدنى وخاصة في العراق القديم، وبعد ذلك انتقلت إلى مناطق أخرى في أزمنة أخرى، ومع ذلك بقيت كثير من الشعوب تعيش في مرحلة جمع القوت بعد مرور آلاف السنين على ظهور الزراعة في الشرق الأدنى.

تمهيد:

انتهى العصر الحجري الحديث في العراق وفي بعض أقطار الشرق الأدنى في حدود 5600 أو 5000 ق.م، وابتدأت طلائع الحضارة والعصر التاريخي في حدود 3500 ق.م أما الفترة الزمنية المحصورة بين هذين التاريخين، والتي مقدارها ما بين 1500 و2000 عام فإنها تحتل مكانا مهما في تاريخ تطور الحضارة، في وادي الرافدين بالوجه خاص وأقطار الشرق الأدنى بوجه عام¹، حيث تمثل هذه الفترة مرحلة جديدة من مراحل التطور الأساسي، إذ خرج الإنسان من نطاق قريته أخذ يبحث عن إمكانات مادية جديدة في البيئات المحيطة به²، وعلى ضوء هذه التطورات أطلق عليها جملة تسميات مصطلح العصر الحجري المعدني³ حيث توفق الإنسان إلى اكتشاف المعادن وصنع منها أدوات مختلفة استعملت إلى جانب الأدوات الحجرية⁴.

حيث توصل الإنسان إلى استخدام أول معدن وهو النحاس وذلك منذ حوالي الألف الخامس ق.م حيث كان استخدام هذا المعدن بصفة قليلة وهذا ما يعتبر قلة المصنوعات النحاسية التي عثر عليها في المواقع التي تنتمي لبداية هذه المرحلة⁵.

¹ - طه باقر، مرجع سابق، ص 229.

² - أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، د ط، دار المعرفة الجامعية، ص 156.

³ - طه باقر، المرجع السابق، ص 229.

⁴ - فرج بصره جي، دليل المتحف العراقي، د ط، مديرية الآثار والمتاحف، ص 3.

⁵ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 156.

أولاً: العصر النحاسي

1- حضارة حسونة:

الموقع التالي بعد العصر الحجري الحديث في العراق، وهو تل حسونة في غرب نهر دجلة جنوب الموصل بحوالي 35 كلم هو المركز حضاري صغير لا تزيد مساحته عن 150×200 ولا يزيد ارتفاعه عن 7 أمتار، ويعد أقدم المواقع الحضارية من صميم السهل الميزوبوتامي ويعبر عن انتقال مركز الثقل الحضاري من المنطقة الشرقية إلى هذا السهل¹، والذي يعود زمنها إلى الألف الخامس ق.م².

ويرجع بعض أن أصحاب تل حسونة فقد أفادوا من حضارة جرموا الأسبق ونقلوا عنها في بداية الأمر الذي يبدو بوضوح في تشابه الإنتاج المبكر من فخار تل حسونة، مع فخار جرموا الخشن، وفي بناء منازل تل حسونة من الطين أسوة بما كان متبعاً في جرمو³.

ولقد كشفت التحريات الأثرية بإدارة المؤسسة العامة للآثار والتراث في عام 1943-1944 على مخلفات هذا العصر⁴ الذي يتكون من 17 طبقة أثرية يوجد الإنتاج الحضاري الخاص بهذا العصر في الطبقات الخمس الأولى منها، وذلك بالإضافة إلى الطبقة السادسة في حضارة حلف وسامراء ونيوى في الطبقات 1-2-B ب وتل الصوان⁵.

وتدل آثار حضارة حسونة على أن أهلها كانوا زراعا وأنهم استأ نسوا الحيوانات منها الأغنام والماعز، ولم يمكن التوصل حتى الآن إلى الجنس الذي كان مسؤولاً عن هذه الحضارة⁶، رغم العثور على جنث أطفال محفوظة في معاول حجرية كبيرة⁷. ويبدو أن مستوطنين كانوا يسكنون يسكنون الخيام إذ لم يعثر على بقايا بيوت مشيدة بل على كميات من الفخار العصر الحجري

¹ - محمد عبد اللطيف محمد علي، مرجع سابق، ص 43. ينظر الملحق 07، ص 93.

² - عبد الوهاب حميد رشيد، مرجع سابق، ص 37.

³ - محمد بيومي مهران، مرجع سابق، ص 15.

⁴ - نخبة من الباحثين، مرجع سابق، ص 124.

⁵ - أحمد أمين سليم، مرجع سابق، ص 227.

⁶ - أبو محاسن العصفور، مرجع سابق، ص 337.

⁷ - وديع بشور، سومر وأكاد، د ط، دن، دمشق، 1981، ص 31.

الحديث وجاء بعد الفلاحين الذين سكنوا الخيام أحفادهم الذين وجدت آثارهم في الطبقات التالية وقد تم تقدم هؤلاء مراحل أبعد من أسلافهم إذ صاروا وشيدوا مساكنهم من الطين¹، وكان يخبزون الخبز في تتور من الطين، وصنعوا آلاتهم المنزلية من الحجارة والطين وربما الخشب كالهاونات²، والفؤوس اليدوية من الحجر ومعازق من الصوان على بعضها بقايا من القير، كانت تستخدم في حرث الأرض وقلبها ومناجل ذات أسنان صوانية ومقابض من الخشب وآلات الطحن للحبوب أو فركها ومجارش، وخنزوا غلتهم في صوامع أو خواب من الفخار، وعرفوا استعمال السهام والحرب والمقاليع، كما عثر على أدوات نيشية صغيرة من بينها سكاكين من الأبسيدين وأدوات القطع أقراص مغازل³.

ويصنعون تماثيلا صغيرة من الطين للنساء، ويطلق الأثريون على هذه التماثيل اسم الإله الأم⁴، والتي تشير إلى نوع من العبادة⁵.

وتبين المخلفات القرية أن القمح والشعير زرا من أصول برية كانت تنمو بشكل طبيعي في المنطقة⁶.

كما ظهرت في هذه القرية عدة أنواع من الأواني الفخارية، فالقديم منها رديء بسيط، الشكل خال من النقوش الملونة أو المزخرفة بنقوش هندسية ذات لون واحد هو اللون الأسود أما النوع النموذجي فمزين بزخارف هندسية محزوزة أو ملونة بالون الأسود⁷.

¹ - نخبة من الباحثين، المرجع السابق، ص 125.

² - تقي الدين دباغ، مرجع سابق، ص 117.

³ - برهان الدين دلو، مرجع سابق، ص 23.

⁴ - أحمد فخري، مرجع سابق، ص 21.

⁵ - طه باقر، مرجع سابق، ص 233.

⁶ - تقي الدين دباغ، المرجع السابق، ص 117.

⁷ - تقي الدين دباغ، المرجع السابق، ص 117.

2- حضارة سمراء:

تمثل هذه الحضارة بالطور الثاني من أدوار العصر الحجري المعدني القديم¹، تعاصر فترة حسونة²، تقع سمراء على دجلة على 120 كيلو متر شمال بغداد³، حيث كشف في هذا الموقع عام 1912-1940م في منطقة مدينة سمراء على فخار من هذا العهد بفخار عصر حلف، وهو العهد الذي يلي عصر سمراء، ولا يمكن الجزم بأيهما أقدم من الآخر، ولكن قد بين الكثير من العلماء في بحثهم عن فخار سمراء وعن فخار حلف⁴.

وقد تميز فخار حضارة سمراء بأواني فخارية مزينة بنقوش هندسية وحيوانات وأشخاص، وهي تؤرخ بأواخر الألف السادس ق.م وتدل الآثار التي وجدت بها على وجود علاقات بينها وبين أرمينيا وبلاد العرب حيث وجدت في صناعتهم بعض المواد التي حصلوا عليها من هذه الجهات⁵.

كما عثر على أواني حجرية وسكاكين حجرية من الحجر البركاني وهو الأوبسيديان من هذا العصر، وهذا يدلنا على تقدم الصناعة وتقدم التجارة لأن هذا الحجر لا يوجد عادة إلا في الجبال أرمينية وبعض مرتفعات بلاد العرب⁶.

وعلى حد ما نعرفه إلا الآن لم يعرف العراقيون القدماء استعمال المعادن والتعدين في طور سمراء فكانت الحجارة المادة المعتمدة في صنع الأدوات ومنها الحجر البركاني الأسود الأوبزيدي obsidian⁷.

¹ - طه باقر، المرجع السابق، ص 240.

² - عبد الوهاب حمد رشيد، المرجع السابق، ص 37.

³ - فرج بصمه جي، المرجع السابق، ص 3.

⁴ - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 27.

⁵ - أبوا لمحاسن عصور، الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية، د ط، المطبعة المصرية، 1962، ص 79.

⁶ - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 27.

⁷ - طه باقر، المرجع السابق، ص 241.

3- حضارة تل الصوان:

يقع تل الصوان على الضفة اليمينية نحو 11 كلم جنوب بلدة سمراء¹، نقتب فيه مديرية الآثار العراقية عدة مواسم منذ سنة 1962م وكشفت عن مستوطن لعصور ما قبل التاريخ يرجع بزمناه إلى الأوائل الألف السادس ق.م، وهذا الموقع هو الحد الفاصل بين الأرض الكلسية في الشمال والأرض الغرنيتية في الجنوب².

كما كشف كذلك عن العديد من الأواني الحجرية والمرمرية والتماثيل الصغيرة التي تمثل آلهة الأمومة، ومن أبرز ما كشف عنه العديد من صوامع الغلال التي عثر عليها بداخلها على بقايا القمح المتكرين³.

كما وجدت آثار حبوب القمح وحبوب عدة أنواع من الشعير وبذور الكتان والقنب وكانت الزراعة تعتمد على الري لعدم كفاية الأمطار، وفضلا عن الزراعة مارس القراويون رعي الحيوانات الأليفة كالخراف والماعز وربما الماشية وصيد الحيوانات الوحشية كالغزلان⁴. ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن مباني تل الصوان إنما تقدم تطورا ملحوظا في تشييد المباني، فقد شيدت من قطع الحجر الكبيرة المستطيلة الشكل، وطلبت الجدران من الداخل بطبقة من الطين ودفن القوم موتاهم أسفل الأرضيات المنازل، كما عمل القوم على تحصين الموقع، وذلك بحفرة ذات ثلاث أضلاع في بلاد الرافدين في هذا التاريخ المبكر⁵.

كما وجدت آثار خندق يعتبر الأول من نوعه في العراق كان عرضه 2.5 مترا وعمقه ثلاثة أمتار ووجدت آثاره في خمس نقاط وبدل هذا الخندق على وجود جماعة مستقرة قادرة على الدفاع المنظم⁶.

¹ - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 38.

² - فرج بصمه جي، المرجع السابق، ص 3.

³ - أحمد فخري، المرجع السابق، ص 229.

⁴ - تقي الدين دباغ، المرجع السابق، ص 118.

⁵ - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 16.

⁶ - نخبة من الباحثين، المرجع السابق، ص 127.

كما عثر في طبقة i بئل الصوان والتي تتضمن العديد من الأسلحة القرمزية ورؤس السهام وغيرها من الآلات الطران وحجر الأوبسيديان، كما تتضمن أيضا الفؤوس الحجرية التي طليت بالقار لتثبتها والمناجل ذات الأسنان من الطران والتي تثبت في مقابضها بالقار¹.

كما وجدت مجموعة من الحلي بعضها من أحجار كريمة مثل العقيق والفيروز والزبرجي وقد حفرت هذه القبور في أراضي بيوت الطبقة الأولى فوق الأرض البكر ووجد في أحدهما هيكل امرأة مطلي بالمغرة دفنت معهم قلائد من الخرز المختلفة من بينها خرز من النحاس اللحام².

مما يفيد أن النحاس كان معروفا من البداية لاستقرار بالموقع، ولو أنه يرجع أن القطع النحاسية لم تكن إنتاجا محليا بئل الصوان³.

4- حضارة حلف:

يعتبر عصر حضارة حلف هو العصر المميز لهذه المرحلة في العراق⁴، بالتوصل إلى معرفة استخدام النحاس منذ حوالي منتصف الألف الخامس قبل الميلاد، نسبة هذا العصر إلى تل حلف التي يقع في أعالي نهر الخابور وعلى مساحة 140 ميلا لشمال غربي نينوى⁵، وقد كشفت عن كثير من آثار ذلك العصر في جهات عديدة في شمال العراق⁶. وقد تحرت فيه بعثة أثرية ألمانية قبل الحرب العالمية الأولى، وكشفت عن بقايا أثرية مهمة تعود إلى مملكة آرامية ازدهرت في المنطقة في العاشر ق.م كانت عاصمتها كوزان أو كوزانا وهو اسم تل حلف القديم⁷.

¹ - محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص ص 58-59.

² - نخبة من الباحثين، المرجع السابق، ص 128.

³ - محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 61.

⁴ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 156.

⁵ - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 20.

⁶ - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 27.

⁷ - طه باقر، المرجع السابق، ص 242. ينظر الملحق 08، ص 94.

وهو من أولى المواقع التي كشفت فيها عن إنتاج الحضاري لهذه المرحلة ومن المواقع النموذجية لهذه الحضارة موقع العريجية قرب الموصل وكذلك تبه ياريم بوادي سنجار¹. وسفوح جبال طروس شرقاً، إلى ما وراء الفرات غرباً، إلى الحدود التركية وسفوح جبال طروس شمالاً، وأما من الناحية الجنوب والجنوب الشرقي، فكانت من المعتقد أنها لم تتجاوز موقع سمراء، غير أن الحفريات كشفت حديثاً عن فخار حلف في الطبقتين العلويتين في تل الصوان وفي أعالي تل shoga mami في إقليم مند لي². كما تتميز حضارة حلف هذه بمظاهر حضارية، وخاصة في العمارة والفخار والنحت على الحجر، فضلاً عن استخدام النحاس³.

- الفخار:

تدل مخلفات تل حلف أكثر تقدماً ورقياً، فكانت الأواني الفخارية التي عثر عليها، متقنة الصنع، ذات ألوان زاهية⁴، مثل الأصفر والبرتقالي والأحمر والأسود⁵. وتعد الزخارف التي زينت بها هذه الأواني من أحسن ما خلفه الإنسان القديم على الفخار⁶ والواقع أن براعته صنع الفخار وجودة تزويقه تضاهي في أجمل ما صنع من الفخار الملون في تاريخ الحضارات القديمة⁷. كما دلت الآثار المكتشفة في الأرضية الأرجية عن القرية كانت شوارعها مبلطة بالحجارة وأنها كانت محاطة بسور ووجدت بها بعض المباني العامة والمعابد كانت من آثارها تماثيل آلهة الأمومة مما يدل على تقدم الحياة الاجتماعية والدينية⁸، كما أن البيوت مازالت عن الطوب

¹ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 156.

² - محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 63.

³ - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 21.

⁴ - حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضاراته (بلاد ما النهرين، الشام والجزيرة القديمة)، د ط، مؤسسة الشباب الجامعية الإسكندرية، 1997، ص 8.

⁵ - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 27.

⁶ - أبو المحاسن عصفور، مرجع سابق، ص 80.

⁷ - طه باقر، المرجع السابق، ص 243.

⁸ - أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 338.

الطوب ولكن الأول يظهر القرميد، والمقابر أدوات الزينة والأختام الاسطوانية وتمائيل الفخار، بالإضافة إلى رسوم الزهور والطيور والحيوانات ورؤوس الثيران¹.

كما وجدت أشكال حجرية مثقوبة ربما ارتديت حول الرقبة للدلالة عن الملكية، وتمثل شكلاً من الختم المنبسط².

أما عن الإنتاج من النحاس الذي قدمته حضارة حلف، والذي توفر مصدره في منطقتي ديار بكر وملاطيا إلى الشمال والشمال الغربي من حلف، فلم يتجاوز بعض³، الصناعات المحدودة من الأدوات النحاسية كالنابيس والأزاميل⁴، وهو إنتاج رغم تواضعه يفوق ما قدمت حضارة حسونة الأسبق⁵.

- العمارة:

ينفرد دور حلف عن أطوار العصر الحجري المعدني بنوع من الأبنية المستديرة التي ذكرناها باسم ثولوس وجمعها ثولي والتي قلنا أنها تضاهي أبنية القبور المسيانية التي يرجع زمنها إلى عصر متأخر من حضارة حلف⁶.

ظهر هذا الابتكار المعماري الجديدة في موقع العريجية ولقد عثر على ما يقارب العشرة منازل في مستويات مختلفة من الهضبة وأجزاء أخرى من الموقع على الرغم من أنه لم يظهران أكثر⁷.

وتتكون المنازل ذات غرفتين مبنية على امتداد طرق مرصوفة بالأحجار، ويتألف المنزل من غرفة داخلية ذات قبة ضخمة وأمامها غرفة مستطيلة الشكل ذات سطح مستطيل⁸، وكان

¹ - وديع بشور، المرجع السابق، ص ص 21-22.

² - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 37.

³ - محمد عبد اللطيف محمد علي، مرجع سابق، ص 73.

⁴ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 109.

⁵ - محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 73.

⁶ - طه باقر، مرجع سابق، ص 245.

⁷ - سيتون لويدي، آثار بلاد الرافدين (من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي) ، تر: محمد طلب، د ط، دار دمشق، ص 103.

⁸ - محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 67.

لهذه الأبنية أساسات من الحجارة واحتوت المنازل على الأفران والمواقد والمخازن وغطيت جدران وأرضيات الحجرات بطبقة سميكة من الطين وطلبت من الداخل¹، وكان يبلغ قطرها خمسة أمتار ونصف متر².

- حضارة العبيد:

أما عن حضارة العبيد الجنوبية فتعتبر أقدم الحضارات التي ظهرت في هذا الجزء حيث أن مخلفاتها تستقر على الأرض البكر ومن أهم مواقعها تل أبو شهرين وقلعة حاج محمد قرب الوركاء³.

والتي تقع أربعة أميال عن أور يعود زمنها إلى الطور الأخير من العصر الحجري المعدني (4000 ق.م) يشكل الدور الأول للإستيطان البشري في السهل الرسوبي الجنوبي، يعاصر في بداية دور حلف في الشمال العراق، وفي نهايته يعاصر دور الوركاء في الجنوب⁴. وقد عبر مهرة الصناع حينذاك عن فنون عصرهم عن أفضل إنتاجهم من الأواني الفخارية، فزينوا سطوحها الخارجية بأشكال تخطيطية متجانسة بألوان وسمراء والتي تعتبر نماذجها الراقية مفخرة لعصرها⁵.

وبروز استخدام المعادن في القرى الزراعية وزاد سكانها الذين طوروا في الآلات الزراعية التي صنعوها من النحاس لاسيما الفؤوس المحاريث والمناجل وأقراص ومغازل والمسامير، إن عدم توفر المعادن في بلاد الرافدين جعلهم يوصلون إليها من خلال الوافدين مثل عدن والأناطول التي يتوفر فيها النحاس ولم يقتصر على النحاس فقط بل برزة استخدام المعدن في الفخار كذلك⁶.

¹ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 160.

² - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 22.

³ - أبو المحاسن العصفور، المرجع السابق، ص 82.

⁴ - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 39.

⁵ - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 33.

⁶ - أحمد أمين سليم، تاريخ العراق القديم منذ أقدم العصور وحتى الغزو الإيراني 239 ق.م، د ط، دار المعرفة الجامعية،

ص ص 40-41. ينظر الملحق 09، ص 95.

- حضارة الوركاء:

يعتبر حضارة الوركاء هو العصر الحضاري التالي لعصر العبيد في العراق القديم، والوركاء هو الاسم الحديث للاسم المدينة أوروك¹، وتمثل الطور الأول من العصر الشبيه بالكتابي². تقع مدينة أوروك في جنوب شرقي السماوة على 30 كيلو متر منها³، أما بالنسبة للمصنوعات المعدنية فقد تفوق فيها القسم الشمالي من الحضارات الذي تفنن أصحابه في تطوير معادن أخرى إلى جانب النحاس مثل الذهب والأحجار الكريمة ونصف كريمة ولا سيما صناعة الحلي⁴.

أما من الناحية الفكرية توصلت إلى ظاهرة التعبير بالرموز التي أدت إلى اختراع الكتابة التي تعتبر من أهم بوادر عناصر النقلة إلى بداية العصر التاريخي، ويطلق على هذه المرحلة تعبير ما قبل الكتابة وتنقسم إلى قسمين أحدهما مبكر يمثل حضارة الوركاء وأحدهما أخير كان أكثر تقدماً وتطوراً مثله عصر حضارة جمدة نصر⁵.

- حضارة جمدة نصر:

تقع قرية جمدة نصر بالقرب من مدينة كيش، وفيها عثر على مجموعة من الأواني الكبيرة المصنوعة⁶.

تعد آخر مرحلة سابقة للعصر التاريخي وقد استطاع الإنسان أن يصل إلى مرحلة متقدمة من الفن والكتابة⁷.

من أهم المميزات الحضارية لهذا الدور يتقدم الصناعات وازداد استعمال الأختام بنوعيتها المسطحة والإسطوانية، ونقشت أواني الحجر بأشكال الحيوانات وأطعمت بالصدف، كما أن

¹ - أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى، المرجع السابق، ص 189.

² - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 39.

³ - فرج بصمه جي، المرجع السابق، ص 5.

⁴ - أحمد أمين سليم، تاريخ العراق القديم منذ أقدم العصور وحتى الغزو الإيراني 239 ق.م، المرجع السابق، ص 43.

⁵ - أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص 193.

⁶ - حلمي محروس، المرجع السابق، ص 8.

⁷ - أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 85.

المعادن أخذت في التقدم فصنع منها مختلف الأسلحة¹، وخاصة في الجانب النحت ومن أشهر هذه القطع الرأس المرمري للمرأة وكذلك جدول حول صناعة من حجر لغرانيت².

ثانياً: العصر البرونزي:

اهتدى الإنسان إلى كشف لبرونز وهو الخليط النحاس المسبوك مع نسبة من القصدير في أغلب في نفس البلاد كشف فيها النحاس وذلك عام 3000 غير أن استعماله لم يبدأ إلا بعد ذلك بعدة القرون.³

يتمزج النحاس بنسبة عالية جداً مع معادن أخرى كالرصاص والانتيموم أو الزنيخ إلا خليط النحاس مع القصدير يكون أجود أنواع لبرونز بعكس خلطة مع الرصاص، يرى البعض في نسبة القصدير ومعادن أخرى أن خلط ما يقل عن نسبة 2% يعتبر طبيعياً⁴.

والمعروف أن عملية اختراع لبرونز قد حدثت في العراق وعلى نطاق واسع ومنه وصلت عن طريق البحر الأبيض المتوسط إلى مناطق بحر إيجه وأوروبا ولقد اجتهد العراقيون القدماء في سبيل الحصول على معدن القصدير غير متوفر بكثرة محلياً وذلك من مناطق وجودة في عربستان وعيلام وتركيا⁵.

والقصدير هذا من أوائل المعادن الفلزية، التي عرفها الإنسان والقصدير ممثلاً في معدن الكاسيترات يوجد متلازماً مع بعض معادن النحاس في معدن الكاسيترات⁶.

¹ - فرج بصمه جي، المرجع السابق، ص 5.

³ - دحام إسماعيل العاني، مرجع سابق، ص 16.

⁴ - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 245.

⁵ - نفسه، ص 245.

⁶ - محمد فتحي عوض الله، الإنسان والثروات المعدنية، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت صدرت السلسلة في يناير 1978، بإشراف أحمد مشاري العدوانى 1923-1990، عالم المعرفة، العدد 33،

ويوجد القصدير عادة على شكل أوكسيد وهو عبارة عن رمل قاتم ثقيل ولا يبدو معدنياً، وتوجد رواسبه في أرمينيا والعراق خاصة في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية ومن أشهر مناطقه مرتفعات قنديل التي تعتبر جزءاً من منطقة الدفع الداخلي لجبال جروس، كذلك توجد رواسبه في أقسام من جبال شمال وشمال غرب إيران.¹

وبهذا احتل القصدير مركزاً كبيراً منذ بدء العصر لبرونزي نظراً للدور الذي لعبه في صناعة السباط الجديدة وكانت قيمته تتراوح (30/1/16/1) من الفضة²، اعتبر القصدير في العراق نادراً الوجود وكان استرادته من اللازم والضروري ليس بالسهل، واعتبر كذلك ذا تكلفة اقتصادية وأقرب إلى أن يكون من المواد الغالية الثمن، ومع ذلك فقد كان يذكر بكثرة في القوائم الخاصة بتجهيز المواد الأولية للورشات المتخصصة بالتعدين وبالذات بتصنيع لبرونز ومنذ العصر السومري الأول والجدير بالملاحظة أن نسبة خلط القصدير مع النحاس لجعله قوياً ظلت متقاربة ولا تتجاوز في متوسط الحد الأعلى الـ 10% هذا على الرغم من أن تحليل قطع برونزية ترجع فترة صناعتها إلى مرحلة النصف الثاني ق.م وقد أشار إلى نسبة القصدير فيها حوالي 2%³.

وفي عصر زمري ليم في ماري كان يستورد من عيلام، التي كانت ترقب المهربات القادمة من السطح الإيراني وفي الألف الأولى اشتهرت إسبانيا بتوريد هذه المادة إلى حوض ما بين النهرين وإلى الشرق، فضلاً عن أن النصوص الكبادوكية التي أشارت إلى حجم تجارة القصدير بآسيا الصغرى مع الدولة الآشورية⁴.

¹ - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص ص 245-246.

² - جان كلود مارغون، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية، تر: سالم سليمان العسي، ط1، دار علاء، دمشق، 1999، ص 204.

³ - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 246.

⁴ - جان كلود مارغون، المرجع السابق، ص 204.

عرف الأثوريون القصدير وخطوه بالنحاس في صناعة البرونز وأشارت نصوصهم أحيانا إلى خواتم من القصدير، ويبدو أن حجم تجارة القصدير مع آسيا الصغرى كان محدودا إذا كانت معظم الشحنات إلى الأناطول كميات بسيطة الأمر الذي يرجع إلى ضالة نسبة المعدن النقي المستخلص من الخام القصدير¹.

وتذكر تفاصيل نص سومري مدتلوا كيفية الحصول على ثلاثة قطع مصنوعة من لبرونز بلغت زينتها ما يعادل 560 غراما وهي عبارة عن إناء ومراة إبرة وذكر أنه تم خلط ما يعادل 512 غراما من النحاس النقي مع 84 غراما من القصدير، وذكر أن الفرق بين مجموع وزن القطع البرونزية والمواد الأولية المميزة وهي معدن النحاس و القصدير والبالغة 36 غراما ذكر أنه أكل بالنار².

بدأ العصر لبرونزي الأول زمن الحضارة السومرية وبزوغ الحضارة الأكادية في بلاد الرافدين، إذ تميز هذا العصر استخدام المعادن وصناعة التحف النفيسة³.

حيث وجد في عهد ميزيليم⁴ ملك كيش معدن لبرونز على شكل مسامير برونزية سحرية توضع في زوايا المباني الأربعة لتثبت بها لوحات الكتابية، أما في عهد أوروكاجينا⁵ ملك مدينة لجش ظهرت أدوات برونزية حيث تبرع بها آلهة للشعب في ظل إصلاحات كور جينا

¹ - قيس حازم توفيق، العلوم والمعارف في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل في العصور القديمة ، ط1، اشور بانيبال للثقافة، 2018، ص96

² - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 247.

³ - داخل حسن جريو، مجلة المجمع العلمي، ج3، مج 52، دع، بغداد، 1427هـ، 2006م، ص 12.

⁴ - ميزيليم: وهو ملك من سلالة كيش الأولى (2550-2600 ق.م) كان هذا الملك يحكم على دولتي أوما ولجش، وقد قدم هراوة حربية للإله نرجسوا الإله الشفيح لمدينة لجش. للمزيد ينظر: لهنري- س عبودي، مرجع سابق، ص 827.

⁵ - أوروكاجينا: وهو انسي لجش نحو (2375 ق.م) وردت أخباره في نصوص اقتصادية دونت على لوحات فخارية بالخط المسماري ثار أور كاجينا على ممارسة الكهنوت لسلطة النبوقراطية، وأرغم الكهنة على التخلي على ممتلكاتهم الخاصة لصالح الإله الذي يملك كل شيء في الدولة، تقدمت سلطته حتى أصبح يحكم بقلب ملك إلى أن خلعه لوجال زاكيري انسي أوما . للمزيد ينظر: نفسه، ص 160.

الاجتماعية والدينية التي اتبعتها خلال فترة حكمه¹، بإضافة إلى وجود أفاريز مرصعة بالحجر الكلسي ولبرونز في معبد زاج إحدى آلهة الأمومة السومرية، والذي بناه مشينا نيباد مؤسس أور الأولى في محلة العبيد القريب من أور، ومن خلال التنقيبات الأثرية فقد عثر في مقبرة الملكية في أور جنوب العراق على أدوات برونزية مثل الفأس والفأس الحربية والأزاميل والقنودم الفأس تعود إلى عصور تتراوح بين 3200-3500 ق.م وليس ثمة شك في أن السومريين كانوا قد صنعوا معداتهم البرونزية بشكل مقصود، ففي ابتهاله دينية يعود تاريخها إلى الألف الثالث ق.م موجهة إلى إله النار، يمتدح هذا الإله، لمزجه النحاس بالقصدير، علما بأن إضافة 10-15% من القصدير إلى النحاس يسهل كثيرا صهر سبائك النحاس الأساسية، ومن الحلي أن سكان وادي الرافدين القدماء استعملوا البرونز أساسا، كما هو واضح، لتسهيل عملية الصب وذلك بتركيب 1-6 من القصدير إلى النحاس ففي شواهد التنقيبات الأكاديمية المهمة تشير إلى كفاءة العالية للأكادين في التعدين، كما وجد في نينوى تمثال تذكاري عبارة عن رأس برونزي اعتقد أنه تمثال لرأس نرام سين² وذلك لشبه الموجود بينه وبين النصب التذكاري حجري لهذا الملك أقيم في أرمينيا³.

وفي عهد نرام سين استعمل لبرونز لصنع خوذات المكلفة بالفضة أما البلطات من لبرونز والنحاس وكذا رؤوس الحراب، كما برز في العهد البابلي في عادات الدفن الميت كانت تدفن معه أواني من الطين ولبرونز في متناول يده، كما أنه استخدم في مصابيح بوابة عشتار⁴ المزينة

¹ - انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تر: توفيق سليمان، د ط، د د، دس، ص ص 45-64.

² - نرام سين: ملك أكاد حوالي (2254-2218 ق.م) حفيد سرجون الأكادي لقب بملك المناطق الأربع امتدت سلطة هذا الملك من خليج الفارسي إلى آسيا الصغرى.

³ - صباح اسطفاه كجه جي، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، د ط، د د، 2002، ص ص 34-35.

⁴ - عشتار: وهي آلهة الخصب والأمومة والحرب والجمال التي تجسدت في كوكب الزهرة، وترمز لها النجمة، وقد عبدها أهل أوروك ربة للرفقة والحب والرغبة لأنها ابنة أنواء، كما عرفت بالروح الحربية فكانت تحارب وتبعث بالهالكين إلى أختها أرشيكيجال في العالم السفلي لتقضي عليهم، عرفت بزواجها من تموز، وقيل أن زوجها هو آشور، وبعد موت تموز ذهبت تفتش عنه في العالم السفلي، ففدّتها الشيطان ناهتار بالمرض وأسرت ثم أفرج عنها بتوسط أبا، وإذا أبي جلجامش حبها أرسلت ثورا لقتاله، فأنقذه أنكيدوا منه فحذفته بالمرض الخبيث، عرفها السوماريون بإسم اينانا، والفينيقيون استراتي، والساميون عشتار، مركز عبادتها نينوى، ومن آثار تلك العبادة هيكل الزيقورة، وتبدو في الرسوم الأثرية تحارب على عربة وقد رافقتها الأسود، وقدست في بلاد الرافدين. عزمي سكر، السوماريون في التاريخ، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1999م، ص 117.

بالنحاس وكانت هذه الأخيرة تدور على رزاز في لبرونز المثبت في كتبة من نفس المعدن، أما بالنسبة لأعمالهم الفنية كانت من المعدن والحجر من ناحية لم تكن تصنع من معدن خالص بل كانت تصنع من النحاس ولبرونز وتغطي بطبقة من فضة أو ذهب، هناك ثور من لبرونز من أصل غير معروف مطعم بالفضة أما في عهد نبوخذ الثاني أقام العديد من الثيران من لبرونز وتنانين عند بوابة عشتار.¹

كما استعمل لبرونز في حضارة بابل وخاصة في أبواب عشتار حيث وضعت في أبوابها مصاريح أرز مصفحة من النحاس، ومفصلات وأصواص مساندها من لبرونز، وضعت على المدخل ثيران مختالة لبرونز، كما بني الملك نبو بلا صر مقر السلطاني المطلق حيث جعلت درقات أبوابه من خشب الأرز المغلف بالبرونز، كما كانت أبواب مصنوعة من خشب الأرز وملبسة بالبرونز وكانت أبواب محراب الآلهة (مردوخ) عند البابليين، كما شاهد على أحد النذور البرونزية الواردة من صورة مساحة في وسطها رجلان عاريان هما على الأرجح كاهنان يتطهران عند طلوع الشمس.²

أما في ما يخص آشور وجد بها تمثال لأسد برونزي المقيد ككلب حراسة عند بوابات هذا القصر يعتبر كمثل من أروع أمثال الفن الآشوري، بالإضافة إلى نقوش برونزية من بلاوات نرى الأسرى الذين سقطوا في سرحوتيا ، إحدى مدن اورارنوا عراتا وأيديهم مقيدة خلف ظهورهم أعناقهم مربوطة إلى أطواف خشبية، وفي العهد الآشوري حتى العفارييت بازور والذي كان ينحت أحيانا على الأحجار فكانت تصنع له كذلك تماثيل برونزية والواجهات لبرونزية في قصر الذي بناه شلمنصر الثالث في قرن التاسع وقد ثبت سرجون لوحات برونزية رقيقة من نفس النوع حول الأعمدة الخشبية، وفي عرش آشور تنسرابلا كانت به نقوش برونزية تمثل حيوانات مركبة

¹ - ديلاپورت، بلاد ما بين النهرين، تر: محرم كمال، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص ص 76-171-185-178. ينظر الملحق 10، ص 96.

² - مارغريت روتن، تاريخ بابل، تر: زينة عزار وميشال أبي فاضل، د ط، منشورات عويدات، بيروت، 1984، ص ص 57-106-93.

ترفع نحو شجرة مقدسة بالإضافة لصنع الكراسي ذوات الأذرع والمقاعد الخشبية الثمينة تطعم بالبرونز وأحجار الكريمة¹.

أما في عهد سرجون الثاني الذي اتخذ موصاصير الواقعة بين بلاد اوراتوا وأشور ونهب خيراتها ومنها أكثر من مئة طن من لبرونز وذلك في هيئة سبائك كما وجدت بها ما يقارب 305.412 سيفاً برونزياً وبقرة وعجلها من لبرونز².

وقد قم الأستاذ ديج بتفحص الآثار التي استخرجت من موقع يتضمن تارة مقدار من التنك بنسب عال منه مزيج هذا المعدن الاعتيادية في لبرونز الذي ستحمل الصلب، ومما يجدر ذكره بصورة خاصة أن البعثات العلمية الآثارية التي قامت بأعمال التنقيب في هذه البلاد قد أرسلت بمناسبات عديدة بنماذج من مكتشفات المعدنية إلى اللجنة السومرية للجمعية البريطانية لتقدم العلوم في لندن، تلك اللجنة التي يترأسها الأستاذ ديج، وكانت نتائج الفحوص بصورة عامة تدل على أن آثارنا المعدنية مصنوعة من النحاس ممزوجاً معه مقادير بنسب مختلفة من الرصاص ويتضمن شيئاً من الحديد والزرنيخ بنسب ضئيلة من الممكن عدها مزيجاً طبيعياً³.

ومن المعروف أن عمليات صهر المتتالية كانت كذلك لازمة الحصول على المعدن بشكله النقي، بالنسبة لنسب الخلط السابقة الذي تستوفي من مضمون النص إضافة أربعة غرامات من مادة الأنتيوم أو الزرنيخ وذلك من أجل تصعيد عملية الصهر وتسهيل عملية التخلص من الشوائب وكان يستعمل لهذا الغرض كورة التسخين الخاصة بإذابة المعدن كانت من طبقتين الأولى وهي القلعة كان موضع لشعل النار وفي الثانية يوضع خام المعدن ومثل هذه الكور

¹ - ديلاپورت، المرجع السابق، ص ص 259-286-339-344.

² - إيفاكانيك كير شياوم، تاريخ الآشوريين القديم، تر: فاروق إسماعيل، ط1، دار الزمان، دمشق، 2008، ص ص 72-73.

³ - سليم لاوي، المعادن وأول المستعمل منها في العراق، مجلة سومر الأثرية، كانون الثاني، 1946، دع، ص 94.

تشابه كورتين الفخار المكتشفة بكثرة وهي ثمينة أيضا الكور المستخدمة لنفس الأغراض حتى اليوم¹.

ثالثا: العصر الحديدي:

لم يتم العثور على دلائل عن تاريخ تعرف الإنسان على الحديد، حتى وقت متأخر في حوالي 2700 ق.م²، حيث عثرت بعثة المعهد الأثري في جامعة شيكاغو خلال التنقيبات التي قامت بها في موقع تل سمراء في شتاء 32-931، على لقية أثرية قد تحدث انقلاب مهما فيما كنا نعتقد صحته حتى الآن عن زمن استعمال الحديد³، واكتشاف حيث وجدت البعثة المنوه بها خنجر من الحديد من أصل سماوي (من نيازك) وهو يضاهي ما وجد في تل أسمر في منطقة ديالي⁴.

بالإضافة إلى إناء فخاريا مختوما مخفيا داخل أبنية التي تعود إلى 2700 ق.م تقريبا كان في داخله مجموعة قبضة سكين مجوفة صنعت بإتقان فائق، تزيينها زخارف نافذة، لم يبق من شلفها شيء وقبضتها التي أشرنا إليها تفحصها التحليلي سابقا وجل ما وجد من الشلف الناقصة قطعة من الحديد كانت باقية في داخل القبضة المذكورة وقطعة صغيرة أخرى داخل إناء المتقدم الذكر⁵.

وقد اختلف العلماء والمؤرخون حول ماذا كان مصدر حديد كمعدن من الأرض أو من نيازك الفضاء⁶.

¹ - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص 247.

² - دحام إسماعيل العاني، مرجع سابق، ص 16.

³ - سليم لاوي، المرجع السابق، ص 95.

⁴ - طه باقر، المرجع السابق، ص 316.

⁵ - سليم لاوي، مرجع سابق، ص 95.

⁶ - دحام إسماعيل العاني، المرجع السابق، ص 16.

ولعدم إمكانية العثور على هذا المعدن بشكل نقي إلا في حالاته في بعض الصخور البازلتية حيث يكون على شكل صافي أو نقي فإن نيازك التي تسقط من السماء معظمها من الحديد¹.

كما جاء في ذكر السوماريين الاصطلاح أن بار مشيرين له أن تعني السماء وبار تعني الحديد ويترجح الاصطلاح معدن السماء أو معدن النيزك أو سموه أيضا البار كال ويراد به أن يكون المعدن المعظم وفي الواقع أن الإشارة الواضحة التي تربط المعدن بالسماء والنيازك الساقطة على الأرض وتشخيص العراق بين القدماء بمثل هذه الظاهرة يمكن أن تؤكد معرفتهم لهذا المعدن مع فترة إشارتهم له في الكتابات السومرية².

وقد أدت نتيجة الفحص التحليلي الدقيق الذي أجراه الأستاذ ديج على قسم من هذا الحديد في مخبره إلى معرفة حقيقة كونه حديدا متأكسدا استحالة نتيجة تعرضه للرطوبة واتصاله الدائم بالأرض إلى إعادة متبلور صلبة، غير أنه كانا خالصا من أي مزيج من النيكل وذلك الأمر الذي يدل على أنه حديد طبيعي (وليس شهبيا) هذه هي الأولى التي ظهر فيها هذا النوع من الحديد³.

أنه من الصعب جدا أن يحاول المرء إثبات وجود فن صنع الحديد واستعماله لصنع أدوات منه في هذا الزمن السحيق بالقدم نسبيا، وقد على هذا من المعادن النادرة جدا⁴.

ولعل الحديد في خاماته قد عرف قبل النحاس عند الإنسان القديم، إلا أنه لم يستخدمه إلا بعد فترة طويلة من اكتشاف النحاس وسبائكته، لأن الحديد النقي طري لدرجة أنه لم يمكن استخدامه كأدوات للإنسان الأول، ثم أن معرفة كيفية ضبط كميات الكربون في الحديد لجعله

¹ - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص 254.

² - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص 254.

³ - سليم لاوي، مرجع سابق، ص 95.

⁴ - نفسه، ص 96.

أصلب عودا وأقوى مقاومة كانت غير متاحة ولا معروفة، ولذلك ولوجود أدوات أكثر صلابة من الحديد هذا فلم تكن ثمة حاجة إلى الحديد عند الإنسان القديم¹.

كما كان ندرا جدا في جهات البحر الأبيض المتوسط الشرقية وقد وُجِدت حلقة ذهب في قبر بيلوس، كان يزينها، عوضا عن الحجر الذي نعده في الخواتم اليوم، فص صغير من الحديد وذلك مما يدل على أن هذا المعدن قد عد من المواد التي تتفوق على الذهب نفسه في ذلك الزمن، وقد سوغ هذا الاعتقاد الأستاذ ديج بأن شرح العلاقات الوثقى التي كانت موجودة قديما بين المعادن العراق ومعادن قفقاسية وأرمينية، إذ وجد أن نسب مزيج معادنتا في العراق تحمل على اعتقاد أنها جاءت من منابع شمالية كالأناتول وأرمينية وأذربيجان، وقد كان في قفقاسية وأرمينية مناجم لاستخراج الحديد².

فقد كان من المعادن المهمة في الصناعة وأولى استخداماته كانت في صناعة الأسلحة والأدوات الحديد، وهو في هذا الجانب أفضل من لبرونز وأشد صلابة منه، ولم يتمكن العراقيون القدماء من توصيل صناعته إلى قطاع البناء والهندسة وربما كان لنذرة وجوده آنذاك وتأخر شيوع استخدامه حيث لا يتعدى ذلك³.

والمعروف أن مصادر الحديد الرئيسية هي فلزاته ومنها أكاسيد الحديد والهيمات وهو خام الحديد وأكسيد الحديد المائي الأصفر⁴.

كانت متطلبات التجميل والزينة هي أيضا أول ما شغل الإنسان القديم للحديد، فالمواد الأولية للتلوين حصلوا عليها من مادة المغرة الحمراء وهي هيماتايت معدن من معادن الحديد، حيث كانت متوافرة في الصحراء بلونها الأحمر⁵.

¹ - محمد فتحي عوض الله، مرجع سابق، ص 115.

² - سليم لاوي، مرجع سابق، ص 96.

³ - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 254.

⁴ - نفسه، ص 255.

⁵ - محمد فتحي عوض الله، مرجع سابق، ص 115.

وفي عهد الملك البابلي نبوخذ نصر حيث أقام جنائن المعلقة ليرضي زوجته الميمنية¹ عندما أصبح ملكا حيث كان بهذه الجنائن معلقة ثلاثة أبار ولعل هذا المثلث من أبار قد انتفع منه لأنه كان يستخدم سلسلة حديدية طويلة كانت الأوعية المعلقة بها ترفع بالماء من جوف الأرض إلى السطح الأرض بشكل دائم كما ذكر استعمال الحديد في الجانب التجاري أيضا².

واقتبس الآشوريون الأساليب التقنية الخاصة بالحديد من عند الحيثيين الذين كانوا يقطنون في بلاد الأناتول واستعملوا هذا المعدن إلى أبعد حدود الاستغلال منذ بداية العصر الآشوري الحديث، حيث صنعوا منه أنواعا كثيرة من الأسلحة الثقيلة والخفيفة كانت في مقدمة العوامل التي مكنتهم من إقامة أوسع إمبراطورية عرفها العالم القديم، وكان الحديد يتواجد في جبال طوروس وفي المرتفعات الإيرانية ولقد أجريت محاولات عديدة لتفحيمه ولم يتيسر لرواجه إلا بعد اكتشاف عملية التفحيم الذي تخطى لبرونز³.

كان ظهور تقنية الجديدة في هذه المرة، وهي اكتشاف كيفية تفحيم الحديد التي ولدت مهنة الحدادة المتضمنة طرق المعدن وهو حار جدا لتخليصه من الشوائب، ولم يعرف زمن ومكان هذا الاكتشاف شكل محدد، فقد يكون ظهور في بعض المواقع من منطقة تعدينه تقع في جبال كنتيجة لتواجد بقايا أفران نار التعدين على مقربة من مناجم استخراج المعدن⁴.

إذا تطلب هذا الإنتاج درجة أفران حرارية عالية، وتطلب أن يطرق الحديد الخارج من هذه الأفران على شكل قضبان حمراء اللون بدلا من سكب المعدن السائل في البوتقة إلى القوالب⁵.

¹ - الميمنية: نسبة لقوم الميديون وهم أحد الأقوام استوطنت إيران قديما، حيث عاشوا فيها في شمال الغربي، وكان موطنهم الأصلي يشمل كردستان وأذربيجان ومنطقة كاردوخ، واستناد إلى الكتابات هيروdot فان الميديين، كانوا مؤلفين من 6 قبائل رئيسية وهم بوزا، باريتال، ستروخات، آريا، بودي، مرغى، أطلق هيروdot اسم آريين القبائل الميديين. للمزيد ينظر: هنري-س عبودي، مرجع سابق، ص 27.

² - مارغن روتن، مرجع سابق، ص 83-101.

³ - قيس حازم توفيق، مرجع سابق، ص 97.

⁴ - جان كلود مارغون، مرجع سابق، ص 201.

⁵ - داخل حسن جريو، مرجع سابق، ص 13.

خلاصة الفصل:

نستنتج من خلال دراستنا لفصل العصور المعدنية في بلاد الرافدين أن المعادن كان لها الدور البارز في تطور الفكري وإنتاجي للإنسان ، ذلك من خلال ما أظهرته لنا مصنوعاته الجذابة والمتقنة في العديد من الجوانب والمجالات ومن أهمها الجانب العسكري حيث أبدعوا في صناعة الأسلحة، والذي تزايد وأصبح أكثر اتقاناً وراحة عن ذي قبل بالإضافة إلى المصنوعات أدوات الزينة والحلي سواء كان سواء كانت للمرأة أو زينة القصور والمباني الذي ظهر بشكل مبالغ فيه في كثير من الأحيان ، وهذا ما يبين لنا ماذا أهمية المعادن في حياة الإنسان ومدى إدراكه ووعيه لقيمة هذه المعادن وكيفية التعامل معها واستغلالها ولذلك تعتبر المعادن المرحلة الموفقة في حياة الإنسان.

تمهيد:

لقد أثرت الصناعات المعدنية في بلاد الرافدين في مجالات مختلفة وهي الجانب الثقافي والعسكري والفني والإقتصادي مما أدى بها إلى التطور الحضاري التي قام بها الإنسان من خلال إنجازاته القائمة على الإختراعاته، لإفتقاره لكثير من المواد الأولية من المعادن كالذهب والنحاس والحديد، وهذا ما أدى بها إلى التبادلات الخارجية مع الجيران وكانت حضارة أكد وسومر ودوراً كبيراً في بناء النشاط الإقتصادي¹.

¹ _ صفوان سامي السعيد جاسم، التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأولى ق .م في ضوء المصادر المسمارية، د ط، د س،

أولاً: الجانب الثقافي:

تعريف الثقافة:

هي مجموع مالمشعب من أفكار وتقاليده وتصاميم اجتماعية وسياسية مثل الكتابة واللغة والعلوم والآداب والفنون والصناعات تهدف إلى تحقيق الخير للإنسان وزيادة رفاهية للحياة ومتعتها¹، وأيضاً هي نمط للمعاني تتجسد في أشكال رمزية في الأفعال والألفاظ والأشياء ذات مغزى من مختلف الأنواع التي بموجبها يتواصل الأفراد مع بعضهم البعض وينقسمون الخبرات والتصورات والمعتقدات².

أ- اللغة والكتابة:

دلت الآثار الخطية التي وجد الكثير منها في أرض الجزيرة على أنه كان فيها لغتان أقدمهما (السومارية والأكدية) التي بها تكلم وكتب الكلدانيون الأولون، وهي عبارة عن ألفاظ كوشية في صيغ طورانية، والثانية من أصل سامي محض وهي الآشورية التي تغلبت على اللغة القديمة، فحلت في بابل ونيوى، ومع إنتشار اللغة الآشورية ظلت السومارية شائعة وأخذ علماء نيوى المخطوطات القديمة على غير اللغة السومارية واللغة الآشورية³.

الكتابة المسمارية:

إكتشفت في حدود عام 3500 ق م أولى العلامات المسمارية وبهيئة صور أي رسم صور الأشياء المراد تدوينها ثم تطورت إلى علامات مسمارية دلت على علامات وأفكار متعلقة بصور الأشياء، فمثلاً العلامة المسمارية التي تمثل صورة القدم السومرية بالإضافة إلى عضو القدم والرجل من أفعال ومعان تتعلق بالقدم: مثل قام وقعد ودخل وبذلك اكتسبت العلامات المسمارية أصواتاً مختلفة ثم تطورت بعدها إلى الطور الصوتي أي أن العلامات المسمارية إتخذت أصوات على هيئة مقاطع صوتية وقد عثر المنقبون على نصوص ترجع إلى القرن

¹ - جاسم حميد جودة الطائي وهبة محمد سكيان، الأنساق الثقافية في أدب وادي الرافدين، كلية التربية العلوم الإنسانية، جامعة بابل، د ط، د س، ص 11.

² - نفسه، ص 12.

³ - غستاف لوبون، تر: محمود خيرة المحامي، حضارة بابل وآشور، ط 2، دار الرافدين، بيروت، لبنان، 2017م، ص 53.

السابع ق م إلى غاية أن تطور الخط المسماري وبسبب أن كل علامة مسمارية¹، كانت تنتهي رؤوسها بما يشبه المسامير أو الأسافين جاءت تسميتها بالكتابة المسمارية، واستعملت هذه الكتابة في تدوين الوثائق الإقتصادية مثل بيع الأراضي والقروض وتنظيم سجلات الحملات العسكرية أو الأنشطة العمرانية للملوك².

استخدم السومريون الصور في البدء بمعناها الشائع والمألوف ثم اعتمدوا العلامات رمزا لأشياء معينة، وقد رسموها على الطين اللزج في أول الأمر ثم حفروها في الطين بعضها على شكل الإسفين وهو الشكل الذي منح هذا الخط إسمه فكان (الخط المسماري) وما أكثر الطين والطيني في بلاد ما بين النهرين وقد دونوا كتاباتهم ضمن الألواح، ومنذ مطلع الجيل الثالث عدت الكتابة ذات أصوات ولم تكشف بالمعاني وحدها، فنشأت الحروف الصوتية، وسهل بالتالي إستخدامها في تأليف الكلمات الجديدة³.

عرفوا السوماريون تعلم القراءة والكتابة بالأحرف السومارية، فكانوا يكتبون بها لغتهم وكانوا يتميزون به من المعارف والمعايير والموازن وأساليب المعاملات، والتجارة وفنون الحرب، وصنع الآلات الحربية والنحت⁴.

إستخدمت الكتابة السومرية أيضا في تدريب اللغة الأكادية السامية، استعملت النصوص السومارية في بلاد الرافدين في تدوين مراسيم الدفن والجنائز⁵.

انتزعت سومر القيادة الفكرية الحضارية في بلاد الشرق الأدنى عند مطلع الألف الثالث ق.م وسبقت مصر في خلق أول حضارة مزدهرة فيها بذور تاريخية حيث ابتكرت الكتابة التي كانت عبارة عن صورة أو رموز مجردة تعكس تعبيراً كلامياً معيناً كما كانت هذه الكتابة في سبيل الوحيد التي أخرجت الشرق الأدنى من الظلمات إلى النور وهنا استطعنا إثبات أن

¹ _ شيماء ماجد الحبوبي، سهام علي عبد الحسين، **جوانب من الحضارة السومرية**، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 1، جامعة بغداد، 2012 م، ص 359.

² _ نفسه، ص 359.

³ _ عزمي سكر، **السومريون في التاريخ**، ط1، دار عالم الكتب، لبنان، 1999، ص 82.

⁴ _ عبد العزيز الثعالبي، **مقالات في تاريخ القديم**، ط 1، دار الغري الإسلامي، بيروت، لبنان 1986، ص 78.

⁵ _ نفسه، ص 78.

السومريون هم أول من إبتكرو الكتابة المسمارية وبالتالي¹، أول من بنى صرح حضارة هذا العصر².

ومن أهم أنماط الكتابة التي ظهرت في بلاد ما بين النهرين، وقد سميت بالكتابة السمارية أو الخط المسماري، نسبة إلى القلم الذي يشبه إلى المسمار وفي المعدن المدبب وله شكل مثلث منتوري والذي كان يستخدم في الكتابة، وكان الكاتب يمسك هذا القلم مائلا ويضغط به ضغطا خفيفا على لوح من الطين مسجل المعلومات المختلفة ثم يتعرض هذا اللوح للنار أو حرارة الشمس حتى يجف أو يشبه الفخار وترجع أقدم هذه الألواح الطينية أو الفخارية إلى حوالي عام 3200 ق م وكانت الكتابة تقرأ عليها من اليمين إلى اليسار³.

أحس السومريون بالحاجة إلى تدوين أفكارهم فوضعوا أسس كتابة أولية أخذها عنهم "الأكاديون" وطوروها فأصبحت أيسر إستعمالا وأوفى أداء وعرفت باسم الكتابة المسمارية، والناظر في هذه الكتابة لا يرى صورا أو حرفا بل أشكالا لأن التصوير صعب على الألواح الدلعان فلجأوا إلى الإصطلاح يدل على شيء أو يدل على عمل أو فكرة، أو يدل على مقطع صوتي فتشتبك المعاني كما يحصل في الكتابة الهيروغليفية⁴.

وفي أول الأمر كانت الكتابة عبارة عن صور تعبر كل منهما عن رمز معين وبعدها تطورت فصغر حجمها وبسط شكلها، بحيث أصبح تدوينها بسرعة وسهولة ثم تحولت إلي علامات صوتية تعبر عن الأصوات التي ينطبق بها عن الصورة نفسها، ولم تكن الكتابة المسمارية واحدة في كل المدن السومرية وكانت هذه الأخيرة كتابتها على الألواح الطينية

¹ _ نائل حيون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة (دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص السومارية والأفكار)، ج 1، د ط، دمشق، ص 145.

² _ انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، د ط، د ن، د س، ص 23.

³ _ بشير محدة وآخرون، مصادر الشرق الأدنى القديم مصر لبلاد الرافدين فينيقيا ، مذكرة لنيل شهادة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، 2012_2013م، ص 114.

⁴ _ إبراهيم البشير بشي، تدوين اللغة عند السومريين تاريخ مختصر لأهم حضارات الرشق القديمة، د ط، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص 70.

أوالفخارية تستخدم في تسجيل المعاملات التجارية من عقود وصكوك وتسجيل الوثائق الرسمية والأحكام القضائية¹.

وبدأت الكتابة المسمارية من اليمين إلى الشمال كما تكتب العربية ومن فوق إلى تحت كما تكتب اللغة الصينية ولكن التطور الذي لحقها جعلها تكتب أفقياً ومن الشمال إلى اليمين حتى لا يمحى تحت يد الكتابة ما انطبع على الألواح الدلعان².

1- الإنتاج الأدبي في سومر:

تنوزع النصوص الأدبية السومرية المكتشفة في بلاد الرافدين هي الأدب الروائي، آداب التراتيل والأصوات، نصوص الرثاء³.

كان السومريين وأهل أكاد مؤلفات في الآداب، كانوا يضعون في ذلك كتباً حقيقية ومؤلفات شاملة تتناول كثيراً من الموضوعات التاريخ والعلوم والدين حتى القصص والأساطير ولها كثير من الشواهد تدل على أن السومريين كانوا يعرفون الأوزان⁴.

توزع منهاج التعليم الذي ساد يومئذ ذلك الدراسة علمية، وبها جرى تدريس اللغة في أفعالها وأساليب مجازها مع العلوم الطبيعية والجغرافية، ودراسة أدبية تناولت الآثار الأدبية التي سادت حوالي منتصف الألف الثالث ق.م ومن أهم موضوعات هذه الدراسة كانت أسطورة درجة أناتا إلى العالم السفلي وملحمة جلجامش التي تم جمعها وتوحيدها أيام البابليين، ولقد سجل

السومريون أفكارهم عن ظهور الكون وبروز الحياة في النصوص أدبية شتى وتحمل القصائد السومرية أنبل المشاعر الإنسانية كما عرف الأدب السومري جانب النقد الاجتماعي شكل الأدب جانباً مهماً من حياة الفرد السومري وسار في أهميته جنباً إلى جنب مع اللغة فوق كل شيء من المعروف أن الأدب جانب من الموروث الحضاري، وكان في بدايته يتداول شفاهاً عن

¹ _ بشير محدة وآخرون، مرجع سابق، ص 114.

² _ إبراهيم العيد بشي، مرجع سابق، ص 70.

³ _ جاسم حميد جودة طائي وهبة محمد صبكان، الأسناق الثقافية في أدب وادي الرافدين، د ط، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ص 3.

⁴ _ نفسه، ص 3.

طريق الكهنة والمنشدين ضمن ممارسات القوم وطقوسهم المختلفة التي عبرت عن إيمانهم الراسخ بدينهم لغرض إرضاء الآلهة والتقرب إليها¹.

أوائل الشعراء السومريين في تأليف قصائد قصصية رائعة عند الآلهة لإمتناع الناس، كما نجد أن واضعي الأساطير قد إستوحو إلهامهم في تأليف قصصهم من مواقع بلدانهم، وأقدم نص وصل إلينا حتى الآن هو أسطورة الآلهة أنليل، وأيضا عثر على نصوص أدبية تضمنت أعمالا أدبية كاملة².

2- الرسائل الأدبية:

وهي كانت هذه الرسائل عبارة عن رسائل شخصية بين الأفراد والكثير منها رسائل رسمية تعود للملوك والحكام³.

3- النصوص الأدبية:

وهي كثيرة ومتنوعة منها ملاحم الأبطال والبطولة كملحمة جلجاماش منها القصص كقصة الطوفان⁴.

4- الكتابة في الأكاد

إستخدم الأكاديون الكتابة لغتهم الكتابة السامرية أو الأسفينية التي يعزى إبتكارها إلى سومر بين سكان جنوبي بلاد الرافدين في أواخر الألف الرابع ق.م وهي الكتابة التي أستخدمت ألواح المصنوعة من الطين مادة لتدوين⁵.

¹ _ شيماء ماجد، لحبوبي وسهام علي عبد الحسين، مرجع سابق، ص 79.

² _ نفسه، ص 362 .

³ _ جاسم حميد جودة طائي وهبة محمد صبيكان، مرجع سابق، ص 3.

⁴ _ نفسه، ص 3.

⁵ _ وديع بشور، مرجع سابق، ص ص 78-80.

5- اللغة الأكادية:

اللغة الأكادية (ليشائم أكديتهم) هي لغة سامية قديمة، ظهرت في بلاد النهرين منذ 3000 سنة قبل الميلاد، وانتشرت لتصبح لغة المراسلات الرسمية في الهلال الخطيب إلى جانب البلدان الشرق الأوسط، تأثرت اللغة الأكادية باللغة السومرية، بفضل الإحتكاك والتي كانت مستعملة إلى جانب الأكادية ثم حلت الأكادية محالها في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، وبقيت اللغة السائدة هي الأكادية في بلاد الرافدين لثلاثة آلاف سنة، حيث وصلت اللغة الأكادية إلى قمة إنتشارها في القرن السابع ق.م أصبحت لغة الكتابات في المراسلات والمعاملات المالية وغيرها¹.

بدأ الاهتمام بدراسة اللغة الأكادية منذ اكتشاف الألواح المسمارية الأولى المكتوبة بهذه اللغة بدءاً من فك الرموز الكتابة المسمارية، إلا أن اللغة التي كتبت بها تلك الألواح ما هي إلا لهجة مشتقة من لغة أقدم هي اللغة الأكادية التي سميت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة آكاد وتزايد لإهتمام بوضع المؤلفات في قواعد اللغة الأكادية وتصنيف معجمات في مفرداتها بحيث وصلت اللغة الأكادية إلى درجة كبيرة من الأهمية حتى قبل تأسيس الدولة الأكادية².

ثانياً: الجانب العسكري:

1- الجانب العسكري لسومر:

تعتبر المدن السومرية المستقلة خلال عصرها الأول (2600_2350 ق.م) أساس الصراع، حيث كانت كل دولة تتمتع باستقلال ذاتي وتحاول بسط توسعها الزراعي على الأخرى ومن أقدم هذه المدن أوريدوا في الجنوب وكيش ووأوروك ولاجاش وأوما وأسياف ونيبور وشوروباك، وأرب وسميا بالإضافة إلى الغارات الخارجية عليها من بلاد إيران حيث توحدوا لحماية بلدهم إلا أن هذه الصراعات سرعان ما تعود إلى ما كانت عليه من قبل³.

¹ فضيلة حند، الحضارة الأكادية في العراق القديم (2250-2150 ق.م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ الحضارات

القديمة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 2014-2015م، ص 6.

² عيد مرعي، موجز تاريخ اللغة الأكادية وقوعدها، د ط، مكتبة الأسد، دمشق، 2012م، ص ص 7-33.

³ حلمي محروس، المرجع السابق، ص 11.

- نزاع مدينة لكش وأوما:

في البداية تولت مدينة كيش التي تقع في الطرف الشمالي من أرض سومر، مركز القيادة بين الدول السومارية، خاصة في عهد ملكها (ميزيليم) وهو أقدم ملك سومري عرفت بعض آثاره المادية¹ وقد خاض حربا ضد مدينة أوما التي ازدهرت في هذه الفترة وذلك بسبب التنازع على الأراضي الزراعية الخصبة القوية من البلدين، وفي نهاية هذه الحرب رسم ميزيليم الحدود البلدين واعترفت بها أوما².

- دولة لاجاش وحروبها التوسعية:

وفي حوالي 2500 ق.م انتقلت الزعامة على المدن السومارية إلى مدينة لاجاش في عهد ملكها (أرشيجال) أقدم ملوك بعد أن قاد حركة إستقلالها عن كيش وفي عهد أوناسين الذي تولى الملك حوالي عام 2480 ق.م انتعشت مدينة لاجاش في المجالين الإقتصادي والعمراني فشق قنوات جديدة للري، وبني العديد من المعابد³.

- أما في عهد حفيده اي أنانوم⁴ (2449 _ 2430 ق.م):

حفيد أورتاسين أشهر ملوك الأسرة الحاكمة في لاجاش في المجال العسكري، ونتيجة لإنتصاراته العسكري أصبحت مدينة لاجاش قبيلة الدول السومارية المتنازعة فيما بينها كما أنه صد هجوم شنه العيلاميون⁵ من جهة الشرق في أول صدام سومري عيلامي ترد أخباره وبعد

¹ - وبع بشور، المرجع السابق، ص 42.

² - صموئيل كريم، من ألواح سومر، تر: طه باقر، د ط، المتبني، بغداد، ص 94.

³ - طه باقر، المرجع السابق، ص 355.

⁴ - أي أنانوم: انسي مدينة لجش السومرية (الألف الثالث ق.م) حفيد أورناشي كان فاتحا كثيرا، تجاوز حدود مدينته، وحصل على لقب ملك، وأخبار أعماله العظيمة مسجلة في مسلة العقبان. هنري س- عبودي، مرجع سابق، ص 160.

⁵ - تعريف العيلاميون: شعب كان يعيش على حافة نهر دجلة في مدن الإقطاعية مشكلة مدن الدولة، وأهم مدينة أسسوها والتي جمعت بعد ذلك مدنهم في الدولة واحدة وأصبحت عاصمة لها مدينة سوس وقد كانوا في صراع ما بين النهرين ويعود أول نزاع بينهم إلى عهد مدينة أوربوا كما تشير إلى ذلك ملحمة جلجامش واستمر الصراع إلى غاية الدولة الأكادية فهزمهم سرجون الأكادي، ولكنهم ما استفادوا من ضعف أكد في عهد الملوك اللاحقين وسيطروا عليها بصفة واضعين حدا لوجودها. بلخير بقة، مرجع سابق، ص ص 6-17.

ذك شن اي انانوم الحرب ضد باتيزي¹ (حيث قام باتيزي أوما حلفا ضد لاجاش شاركت فيه مدينة أوروك في الجنوب ومدينة كيش أوسين في الشمال، وتصد اي أناتوم هذا الحلف وألحق الهزيمة بقواته في معركة فاصلة قتل فيها باتيزي أوسي، ومك كيش وأور، وعقب ذلك خضعت لسلطانه جميع المدن في الجنوب ووسط بلاد النهرين وبعد وفاته رجع باتيزي أوما² إلى تحرشاته بتحطيم الحدود لاجاش فشبت الحرب من جديد بين المدينتين³، طوال عهد أخيه اي نا توم الأول (2430 ق.م _ 2415 ق.م) وفي عهد ابنه أنيما (2415 _ 2400 ق.م) إحدى المعارك الأخيرة لقي باتيزي أوما مصرعه وانتهت الحرب بانتصار لاجاش ونصب ملكها إحدى الكهنة ويدعى ابلي باتيزا على أوما كما أضفى الملك أنتيما على نفسه لقب كبير الكهنة⁴.

زوال سلطة لاجاش وتفوق دولة أوما:

وفي عهد اي نانانوم الثاني (2400 _ 2380) ق.م انهارت أسرة أورناسين، ونزلت مرتبة لاجاش إلى درجة الملكية إلى مستوى الباتيزية، ولم ينجح باتيزي (أوروكاجينا) (2365 _ 2357) ق.م وتنفيذ إصلاحاته الاجتماعي، وثارت ضده معارضة داخلية قوية وفي هذه الفترة نهضت مدينة أوما لتتأثر لنفسها واستطاع قادتها أن يدخلوا مدينة لاجاش، وحطموها تماما وامنعوا في تعذيب أهلها وبعد ذلك نقل ملكها لوجال زاكيري⁵ (2357 _ 2350) ق.م مقر مدينو أوروك⁶ وبعد ذلك تمكن لوكال زاكيري من مد سطرانه على بلاد سومر كلها، وبدأ بالهجوم على مدينة كيش، وأطلق على نفسه ملك أوروك وملك البلاد، وكاهن الإله أنو رسول الربة نيسابا وباتيزي اليل الكبرى ثم مد نفوذه وفتوحاته حتى وصل الأراضي السومرية⁷.

¹ _ أبو المحاسن عصفور، مرجع سابق، ص 354.

² _ محمد عبد اللطيف أحمد علي، مرجع سابق، ص 224.

³ _ محمد بيومي مهران، مرجع سابق، ص 108.

⁴ _ طه باقر، من ألواح سومر، مرجع سابق، ص 97.

⁵ _ لوجال زاكيري: ملك من سلالة أوروك الأولى (الألف الثالث ق.م)، أصله من مدينة أوما، أباد السلالة الملكية في الجيش وادعى أنه بسط سلطته من الخليج العربي حتى البحر الأبيض المتوسط بعد حكم دام 25 عاما انهزم على يد سرجون الأكادي. هنري-س عبودي، مرجع سابق، ص 748.

⁶ _ عبد الوهاب حميد رشيد، مرجع سابق، ص 48.

⁷ _ خزعل الماجدي، متون سومر ميثولوجيا اللاهوت والطقوس، ط1، الأهلية للنشر، لبنان، 1998، ص 50.

أما فيما يخص الجيش والأسلحة، كان الملك يخرج إلى الحرب في عربة على رأس الجيش مؤلف من فريقتين رئيسيتين المشاة¹ الراكبين وكانوا يلبسون خوذات من المعدن على رؤوسهم وإزار يغطي النصف الأسفل من الجسم ويرتدون فوقه لرداء شبيه المعطف يغطي الجسم كله ويصنع غالبا من الجلد، وأما الراكبون فكانوا يستخدمون عجلات حربية على أربع عجلات أسطوانية ويجرها جودان ثم أصبحت تجري على عجلتين فقط ويركبها جنديان أحدهما يقود والثاني يشارك في القتال² ومن أبرز الأسلحة التي يستخدمونها القسي والسهم والحرب³ كما استخدموا آلات الحصار الحديدي لتدمير الحصون في الكثير من الأحيان كان يشعلون النار في المدن التي إستولوا عليها⁴ وكانوا يستخدمون القوة والعنف مع أعدائهم ويذبح المغلوبون في ساحة القتال والبعض منهم يأخذون كالعبيد أو منهم يستعمل قربانا للآلهة الدماء⁵.

2- الجانب العسكري لأكاد:

بعد إعتلاء سرجون⁶ الأكادي الحكم 2350 ق،م⁷ وجه إهتمامه إلى الناحية الشمالية أولا حيث يقيم الحيثيون الذين سكنوا في مناطق المرتفعات الشمالية بجمال زاروش وقد عرفوا بشدتهم في القتال وفي طريقه إكتسح كل البقاع الواقعة شمال أكاد منها مدينة آشور

¹ - ويل ديورانت، قصة الحضارة، م1، ص 112.

² - حلمي محروس، مرجع سابق، ص 100.

³ - ويل ديورانت، المرجع السابق، ص 113.

⁴ - حلمي محروس، المرجع السابق، ص 101.

⁵ - ويل ديورانت، المرجع السابق، ص 113.

⁶ - سرجون الأكادي: بدأ حياته العملية في مدينة كيش وكان أحد مقربي الملك أور -زابا في تلك المدينة، وتبقى الظروف غامضة عن كيفية استطاعته الإستلاء على الحكم، ومن المستبعد أن سرجون بدأ حياته ساقيا في بلاط هذا الملك إذا جاء في أحد النصوص المسمارية المتأخرة أن الملك أور نابابا أمر ساقيه سرجون بأن يغير الجارية، وجاء بعد هذا الملك خمس ملوك في الحكم ولذلك يبدو أن سرجون الأكادي في هذه الفترة المبكرة من حياته السياسية كان مجرد منادي لسلطة الحاكم في كيش وأنه لم يقدم بعد على الإنقضاض عليها وإسقاطها، وكان مولد مؤسس الإمبراطورية سرجون يصف على لسانه كيف أن أمه كانت كاهنة عظمى وكيف أنه تتلمذ على يد بستانني اسمه آكي الذي علمه فنون البستنة وكيف أن الآلهة عشتار أعجبت به فمنحته ملوكية البلاد. فاضل عبد الواحد، الأكاديون ودورهم في المنطقة، مجلة كلية الآداب، ع24، كلية الأدب، جامعة بغداد، العراق، 1979م، ص ص 190-191.

⁷ - كوفاليك دياكوف، الحضارات القديمة، تر: نسيم اليازيجي، ط1، دار علاء الدين، ص ص 90-91.

وضع السهل الشمالي كله وصل للجوتيون¹ وهزمهم في موطنهم الأصلي²، استولى على مدينة ماري ثم الشمال الشرقي إلى هضبة كركوك وأربيل³ ثم عاد إلى جنوب العراق حيث شن هجومات موفقة⁴ فخاض معارك طاحنة مع لوكال زاكيري ملك أوروك⁵ بعد توتر العلاقات بينهم إتخذ سرجون ذريعة المعاملة السيئة لمبعوثه إلى الملك الوعري لإعلان الحرب⁶ حتى تغلب عليه وقضى على المدن السومرية⁷، وحيث استولى على أور لاجاش وبلغ الشط وأخضع وأخضع البحر كله⁸، وأسر لوكال زاكيري ووضع في قفص وعرضه أمام الإله الليل ليهزه به⁹، به⁹، وبعد هذه نهب الإله ليخضع بلاد عيلام الواقعة غرب جنوب غرب إيران أي الجنوب الشرقي للعراق وكانت عاصمتها سوسة ثم توجه إلى الأناضول وجزيرة قبرص¹⁰ وصل إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط واستولى على بلاد اسمها مغرب الشمس حتى نهايتها حيث غزاها وجلب منها أسرى¹¹ على البر والبحر، ومن ناحية أخرى فلقد إهتم سرجون بالجيش

¹ - الجوتيون: ظهر إسم الجوتيون أو الكوتيون في الألف الثالث والثاني ق.م، وأطلق على مجموعة ذات أصول مشتركة، ويبدو أن مناطق نفوذ الجوتيون كانت تتقلص وتتسع بحسب قوة وضعف، يبدو أنهم كانوا يقيموا في الشرق والشمال الغربي، ومن المحتمل أنهم شغلوا مناطق أذربيجان وكردستان، ولما استولت الحضارة الأكادية لسومر، صارت بلاد الكوتين هدف للغزات الأكادية، غير أن الكوتيون ووفق الجدلية الصراع بين أقوام الجبال وأقوام الصحراء على السهول ما كانوا يسكنون على اعتداءات الأكاديين، فقد وحدوا شمل قبائلهم وأقاموا تحالف مع اللويين، وأشعلوا الإنتفاضات ضد الغزو الأكادي، ولما ذب الضعف في الدولة الأكادية زحفوا إلى العاصمة أكاد وأسقطوا الدولة الأكادية (2230 ق.م). أحمد محمود الخليل، دراسات سوسولوجية في الشخصية الكردية، ج3، -2009-12-2/dralk halil@hotmail.com/ شوهده يوم 2019/05/02 على الساعة: 21:00، ص ص 12-13.

² - حلمي محروس، مرجع سابق، ص 26.

³ - أبو المحاسن عصفور، مرجع سابق، ص ص 359-360.

⁴ - كوفاليك دياكوف، المرجع سابق، ص ص 90-91.

⁵ - فرج بصمه جي، مرجع سابق، ص 8.

⁶ - أحمد سوسة، حضارة وادي الرافدين، ج2، د ط، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986، ص 27.

⁷ - فرج بصمه جي، المرجع سابق، ص 8.

⁸ - كوفاليك دياكوف، المرجع سابق، ص 91.

⁹ - حلمي محروس، المرجع السابق، ص 26.

¹⁰ - أبو المحاسن، المرجع السابق، ص 360.

¹¹ - حلمي محروس، المرجع السابق، ص 27.

والأسلحة فتطورت أساليب الحرب والأسلحة في عهده ¹، فاستعمل الأسلحة الخفيفة كالأقواس والنبال بدلا من الأسلحة السومرية الثقيلة كاتروس والرماح الطويلة كما أدخل طريقة المبارزة رجلا لرجل في القتال واعتمد الأكاديون على الأعداد الكبيرة في تعبئة الجيش، فيذكر سرجون في أحد نصوصه أنه قاد جيشا قوامه 54 ألف جندي ²، عندما توفي سرجون خلفه ابنه ريموش ³ ريموش ³ 315_307، حكم 9 سنوات، شهد هذا الكثير من انفصال بعض المقاطعات وزادت اضطرابات أولها بلاد عيلام وذلك من خلال ملك عيلام أبال جاماش حيث استطاع ريموش من سحق تمرده وألقي القبض على الملك عيلامي حيث أقام بإذلال مدن عيلام وخربها ⁴، ثم إتخذ إلى إخضاع المدن السومرية وصرع 8640 رجلا ووقع بيده 5469 رجلا وأسرى كوج ملك أور وخرب مدنهم ودمر أساورها وإنتهى هذا الأخير بإغتياله 2307 ق.م ⁵.

بعد وفاة ريموش خلفه أخوه مانيستونشو (2307_2292) حكم 15 سنة تميزت سياسته بالسلم حيث لم تشن ثورات ضده ⁶ عن الأراضي السومرية والأكادية والعيلامية أما من الناحية الخارجية تشير أن 32 ملكا من مدن وراء البحر أي خارج بلاد الرافدين تحالفو ضده فركب البحر وأخضعهم له ⁷ ومن أهم آثاره مسلته المعروفة المسلة السوداء سجل عليها جهوده العسكرية والإقتصادية ⁸.

¹ - محمد بيومي مهران، مرجع سابق، ص 130.

² - فوزي رشيد، سرجون الأكدي أول امبراطورية في العالم، د ط، دار ثقافة الأطفال، العراق، 1995، ص 35.

³ - ريموش: أحد ملوك السلالة الأكادية نحو (2278-2270 ق.م) ابن سرجون الأكادي، عرف كذلك بإسم أو روموش قام بمعارك ضد جيوش أور وأور وأسر ملك أور وتابع طريق النصر حتى البحر. هنري -س عبودي، مرجع سابق، ص 428.

⁴ - محمد عبد اللطيف محمد علي، مرجع سابق، ص ص 272-273.

⁵ - فضيلة حند، الحضارة الأكادية في العراق القديم (2250-2150)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الحضارات القديمة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 2015، ص 6.

⁶ - محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 222.

⁷ - حلمي محروس، مرجع سابق، ص 26.

⁸ - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 131.

نارام سينق (2292 _ 2255 ق.م) بعد حكم 56 سنة بعد وفاة مانيسيرش عام 2292 ق.م تولى حكم العرش نارام سينق¹ وهو أشهر الملوك الأكاديين سرجون حيث حقق إنتصاراته على القبائل الجبلية التي كانت تسكن فيها مقاطعات المجاورة للحدود الشرقية والشمالية من حدود دولية وعن أراضي ماجان وبلاد الملاحه وبهذا أصبحت الإمبراطورية الأكادية كانت قد إمتدت إلى شواطئ البحر الأحمر الآسيوية، في عهد نارام سينق وصارت أكد الإمبراطورية في قمة إزدهارها² ويطلق عليها ملك جهات الأربع³.

بعد وفاة نارام سينق خلفه ولده شاركالي شاري⁴ وكان ضعيف ومع أنه نجح في إخضاع مدينة أوروك والمدن السومرية الثائرة الأخرى كما أخضع القبائل العمورية في غرب الفرات، إلا أنه فقد السيطرة على أواسط وجنوب الشام حيث ركز هذا الأخير على حماية الإمبراطورية الشرقية والشمالية الشرقية من غارات قبائل الجوتيون الجبلية⁵ التي زادت من ضغطها على حدود البلاد أكثر من أي وقت مضى وبعد وفاته سنة 2210 ق.م⁶ تعاقب العرش 6 ملوك حيث ركزوا على صراع السلطة داخل البلاد واهتموا بالصراع الخارجي⁷، وهذه الأحيان إستغل الجوتيون القاطنين في المناطق الجبلية في شمال شرقي البلاد ضعف الإمبراطورية وانقضت على سهول الخصبة في وسط وجنوب بلاد ما بين النهرين، وفي طريقها إلى العاصمة أكد⁸ وبهذا إنتهت الدولة الأكادية⁹.

¹ - فضيلة حند، مرجع سابق، ص 6.

² - نعيم فرح، مرجع سابق، ص 27.

³ - أحمد سوسة، مرجع سابق، ص 27.

⁴ - شاركالي شاري: آخر ملوك الكبار في السلالة الأكادية (2217-2193 ق.م) ابن نارام سين وخليفته في السنوات الأولى من حكمه بدأت الإمبراطورية الأكادية تتعرض لضغوط عسكرية خارجية فاضطرت لصد العديد من الهجومات منها بلاد العيلاميين للمزيد ينظر، هنري-س عبودي، مرجع سابق، ص 523.

⁵ - وديع بشور، مرجع سابق، ص 51.

⁶ - حلمي محروس، مرجع سابق، ص 27.

⁷ - عبد الحميد زايد، مرجع سابق، ص 67.

⁸ - عامر سليمان، بلاد عيلام وعلاقتها بالعراق القديم، د ط، د د، د ب، د س، ص 173.

⁹ - أحمد فخري، مرجع سابق، ص 32.

أسوء هجوم عرفته البلاد خلال تاريخها الطويل، وقضى بذلك على الحكم الإمبراطورية، وقد وصف أحد الكتاب فضائع الجوتيين التي علقت في أذهان الناس لعدة أجيال متتالية بقوله أنهم وحوش الجبال الذين فتكوا بالناس وسلبوا النساء من أزواجهم والأطفال من أمهاتهم والذين إغتصبوا الحكم وقضوا على سومر وبعد أخذوا كل كنوزها معهم للجبال ونهبوا المعابد¹.

ثالثاً: الجانب الفني

تعريف الفن:

إن عمر الفن يوشك أن يكون هو عمر الإنسان، فالفن في بلاد الرافدين هو يمثل صورة من صور العمل، والعمل هو النشاط المميز للجنس البشري، فهو نشاط بشري يتميز بالقدرة والمهارة في إظهار الإبداع وفي التوليد الجمال، إن أصول الفن إنما ترجع للسحر، فالفن هو أداة سحرية للسيطرة على الدنيا واقعية لكنها لا تزال مجهولة².

لقد إمتدت أبعاد الفن لدى السومريين وإزدادت في العمق والواقعية الطبيعية فتطلعتنا للمنحوتات المجسمة والنقوش والتماثيل التي جرى إعدادها من الحجر، كما إستمد الفنان موضوعات شتى من المحيط الذي عاش ضمنه والأحداث اليومية التي عايشها وتأثر بها، ومع الأيام ترقى الفن قرنًا من الإنطباعية وحسنًا ومهارة، وعن موضوعات الأثيوثة لدي فنان السومري مشهد الثيران والأسود، وامتدت الفكرة فتناولت الآلهة وشملت الملوك وهم يصيدون بالسهم والأقواس، ولقد نحتت التماثيل من أجل المعبد وجاءت أشكال متنوعة كذلك عثروا على الصور والمجسمات والنقوش والرسوم الماثلة على الألواح المنحوتة يبرز الفن السومري ببساطته وتماثيله مشاهدة وسيادة أنماطه المستوردة³.

أ- فن العمارة:

إعتمد البناء الطين المجفف أو اللبن وكلاهما أصل على صناعة الآجر فنشروا الحجارة في الأفران حتى غدت قاسية، ولكنها على قساوتها لا تصمد صمودًا الحجر، وهذا ما عرض المقابر والمعابد والقصور للإندثار وزاد في ضياع آثارها بلفيضان المتعاقبة وكلما تهدم بنيان عمود

¹ - حلمي محروس، مرجع سابق، ص 28

² - الكاتب مجهول، الفنون والعمارة في العراق القديم، ط 1، د د، د ب، د س، ص 11.

³ - شيماء ماجد الحبوبى، سهام علي عبد الحسين، مرجع السابق، ص 82.

إلى البناء فوق أنقاضه، فتراثمت الأنقاض وتحولت إلى تلّ وفي هذه التلّ بالذات عثر على آثار حضارات ما بين النهرين¹.

من المعروف أن تشكل الأول من الأشكال الفنون التي يمكن أن تلمس فيها تسلسلاً متطوراً واضحاً في العراق القديم هو العمارة ومع ارتباط العمارة بالعلوم الميكانيكية ويعلم طبقات الأرض والجغرافية والعلوم الخاصة بدراسة الطقس والمناخ وبجانب كبير من علوم التقنية بشكل عام فإن البدايات الأولى لتأسيس المباني في العراق يمكن أن تحدد، في الفترة الإنتقالية المحصورة ما بين العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث وهذه الفترة تحدد بحوالي إلى الألف العاشر قبل الميلاد².

كانت مادة الطين هي التي أصبحت في شمال العراق وجنوبه المادة الرئيسية الأوفر والأكثر اقتصاداً والأقل كلفة والأكثر قدرة على التطويع والتشكيل بأنامل البنائين كما في أنامل النحاتين والفخاريين وقد إستخدموا أيضاً سكان بلاد الرافدين الأسفلت كمادة الماء عازلة للمياه في الأرضيات بالدرجة الأولى كما استخدمه في تكسية أحواض الماء في ساحات البيوت والمعابد، ولقد عرفت معابد الفترة السومرية الحديثة (نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد) غرف الحمامات التي كسيت أرضها بالقيصر ومنها عرف الوضوء في معبد شوسين في تل أسمر³. ولقد استخدم السومريون الصخور الكلسية في صنع الأشكال البشرية والحيوانية وأجزاء الزخارف التي استخدمت لتطعيم الأفاريز في الواجهات الجدارية للمعابد في عصر فجر السلالات كما في أوروكل العبيد أمّا المعادن كالبرونز والحديد فلم تستخدم كمادة تكميلية لم تدخل في صلب البناء وإنما في تغليف الدكاك بصفائح من البرونز كما في المعابد⁴.

ب- القصور:

وأشهرها قصر " خور سابات " في " نينوي " عاصمة الآشوريين وقصور بابل الكلدانية وبابل الشهيرة هي عاصمة الكلدانيين لعصمة، " حمورابي " وإن كانت المدينة نفسها، فالكلدانين زادو في رونقها، فعادات إليها شهرتها السابقة بعد أن طمسها الحكم الآشوري فترة، وأضحت في النهاية

¹ - لبيب عبد الساتر، الحضارات مجاز في تاريخ الحضارات، دار المشرق، ط 14، بيروت، د س، ص 43.

² - نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج 3، د ط، د د، بغداد، 1985، ص 77.

³ - نفسه، ص 77-103.

⁴ - نفسه، ص 78.

مضرب المثل في بلاد المشرق وقد أقيمت على نهر الفرات، يحيط بها صفان من الأسوار منافذها على الخارج مائة بوابة من القلز، شوارعها مستقيمة، دورها غنية متعددة الطبقات وأجمل ما فيها قصر "نبوخذ نصر" وبرج بابل بجنائن هـ "المعلقة" أما القصر فقد بلغت مساحته 10 كيلومترات مربع طول قاعة العرش فيها 60 مترًا وعرضها 70 مترًا مطلية كلها بالأبيض¹.

- إلى جانب ذلك بدأت المعابد القصور الكاملة بالظهور بإعداد لا بأس بها في هذه الفترة ومن أهمها قصر كيش (خرساك - كلاما) وهو يتكون من قسمين أحدهما مرتفع الأرضية قياسًا للآخر ويتكون من مبنى قصير يحيط به ممر حلقي ثم جدار خارجي، وبذلك يكون فترة جدارية إضافية وفي القصر فناء تحيط غرف عرضية في أضلعه الشمالية والجنوبية والغربية - أما الضلع الشرقي فأنته ملئ بغرف متعددة².

ج- البيوت السكنية:

لا تمتاز البيوت السكنية بنظام الخاص بها ففي بيوت منطقة ديبالي، نرى البيوت تصل على أزقة غير منتظمة وهي في تنظيمها الداخلي لا تتبع، نظامًا ثابتًا وأن غلب عليها طابع الساحة الوسطية إلا أن الدخول إليها لا يتبع شكلًا واحدًا قد يكون الدخول إليها عبر قاعة الطويلة واحدة أو غرفة جانبية صغيرة أو عدة غرف متسلسلة وقد يكون للدار الواحدة عدة مداخل وقد تكون أبواب غرفها مقوسة بشكل بسيط وقد تحتوي على مثلثة فوق الأبواب أو في الجدران³.

د- الأبنية الدينية:

وهي كثيرة منها المعابد ومنها المقابر وعرفت المعابد بإسم "الزقورة"⁴ أقدمها ما بناه السومريون، وأشهرها "برج بابل" حيث عبد الإله "نبو" وتصميم الزقورة في الأصل في خمس

¹ - لبيب عبد الساتر، مرجع سابق، ص 45.

² - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 77-103.

³ - نفسه، ص ص 77-103.

⁴ - الزيقورات : وهي جمع زيقورة برج عالي تتألف على الأغلب من سبع طبقات وكان الأقدمون يقيمون إكراما لآلهتهم، ومعناه العظمة والعلو، وللمزيد ينظر: لأنطون موتكات، المرجع السابق، ص 34.

طبقات متدرجة، يعلوها المعبد ليكون قريباً من السماء، فيسهل الاتصال بالآلهة، أمّا الأشوريون فقد جعلوا الزقورة من سبع طبقات، وهذا مما جعل المعبد في مكان مرتفع أنّه كان بمثابة مرصد، تراقب منه الكواكب والنجوم نظراً لما علم الفلك من أهمية وتأثير في الحياة اليومية والدينية وللوصول إلى الطبقات العليا من الزقورة أقيم درج ضخم مواجهة، يلتقي بدرجتين جانبيين عند الطبقة الثانية من الزقورة¹.

وكانت المعابد الزقورات على قسط ضخم من الغنى فتتلقى يومياً مئات من الأضاحي والتقادّم ففي "دارك" مثلاً كان نصب الإله أنو يومياً ستين خروفاً ومائة وأربعين كيّلاً من الحنطة في أواني من الفضة والذهب، أمّا المقابر فكانت تحت الأرض، تحتوي بالإضافة إلى جثة الميت على كل ما هو بحاجة إلية، كتمثال شديد الشبه به ليكسب إستمرار رضى الآلهة، وأنية ومقتنيات ثمينة، وكذلك اختلفت الأبنية الدينية في بلاد ما بين النهرين عن مثيلاتها في حوض النيل فكانت أقل ضخامة ورونقاً، ومرد ذلك إلى إعتبارات عدّة لعل أهمها الفقر إلى الحجر القاسي والشواهد الصخرية².

هـ - العمارة في أكد:

ومن أبرز ما جاءت العمارة في عصر الأكادي، حيث استعملوا اللبن في بناء العمارة وهو المادة السائدة في بناء خلال هذا العصر لأحصى تغيير كبير في فن العمارة خلال هذا العصر حيث شيدة المعابد، منها معبد آيو القديم ولقد راها هيرودتس³ ووصفها وصفاً شاملاً⁴، فذكر ما

¹ - لبيب عبد الساتر، مرجع سابق، ص 46.

² - نفسه، ص 47.

³ - هيرودتس: (425-484) أشهر مؤرخي الإغريق والمعروف أيضاً بإسم أبو التاريخ لأنه أول من كتب مؤلف تاريخي التواريخ بمنهجية ومصادقية على الأقل أفضل مما سبقوه، وحتى بعض المؤرخين في العصور اللاحقة، ولد في هاليكارناس ونفيت عائلته من المدينة بعدما قاومت طاغييتها الذي كان عميلاً للفرس كما يمثل مع شوكيديس أهم المؤرخين في القرن 5 ق.م، قام برحلات عديدة إلى مختلف المناطق العالم منها بابل التي رأى معالمها، وقد قام هيرودوت بتدوين كما سمعه وسجل كما رآه، وقد ألف كتابه حوالي 444 ق.م، وقسمه لتسعة أجزاء تحدث في الجزء الأول عن بابل وآشور وذلك في لفصول من 177-200 حيث وصف جغرافية المنطقة وأهم مدنها والأحداث التي تعرضت لها وبعض المعادن، وتحدث عن بعض العادات والتقاليد. بلخير بقة، مرجع سابق، ص 4.

⁴ - انطون مورتكات، الفن في العراق القديم الجزء الأول، د ط، د د، د ب، ص 47.

كان لها من اتساع والارتفاع والسمك، والخندق المحيط بها، والأبراج الضخمة التي كانت تعلوها على مسافات متقاربة، وأبوابها النحاسية، وكانت الزخارف التي بها تزين تلك القصور¹.

و- الختم الأسطواني:

عبارة عن أسطوانة مصنوعة من مادة صلبة قد تكون من الحجر أو من الطين أو من معدن بحيث يوفر سطحها الخارجي مساحة لنقش أشكال وصور مختلفة المواضيع، إهتم الفنان في بلاد الرافدين بصناعة الأختام الأسطوانية وأولى بدايات استعمال الأختام الأسطوانية كان في حوالي عام 3300 ق.م في جنوب الرافدين "سومر" الأمر الذي يؤكد توفر أنواع من الأدوات والآلات الحجرية والمعدنية الدقيقة المستخدمة لانجاز نحت المشاهد، إلى جانب توفر نوع من الخبرة والتجربة لنقش أشكال صغيرة الحجم وقد صنعت في البداية من النحاس ثم استخدام البرونز في الفترة الآشورية استخدام الحديد في صناعتها².

ز- أختام العصر الأكادي:

عندما نأتي إلى العصر الأكادي نلاحظ أن الفن الحفر على الأختام الأسطوانية أخذ إتجاهاً معيناً في هذه الفترة فقد تغير بالأساس الأسلوب الزخرفي فللنصب والأبنية أخذت شكلاً جديداً في هذا العصر و أضاف عدد من الأختام الأسطوانية تعود إلى موظفين حكوميين إلى فن الأختام الأسطوانية مواضيع جديدة إلى مواضيع التي تعود إلى فترة ما قبل عصر سرجون الأكدي ومع التطور الجديد في التصرف نحو الواقعية الطبيعية أصبحت الأختام الأسطوانية³ المصدر الرئيسي للمعلومات التي تركز الضوء على التاريخ والمعتقدات للحكام الأكاديين الجدد، تميزت هذه القبائل بالواقعية ومحاكاة الطبيعة وتجلّى ذلك على الأخص في أواخر العصر الأكادي حيث تطور الفن⁴.

¹ - غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص ص 129 - 141.

² - محمد علي أبو شحمة، الأختام الأسطوانية مصدرًا من مصادر دراسة تاريخ بلاد الرافدين، مجلة الأدب، العدد 10، جامعة مصراته، ص 57.

³ - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ص 99.

⁴ - نفسه، ص 99.

ح- النحت:

يعد النحت فن من أهم الفنون التي مارسها العراقيون القدماء وأصدقها تعبيراً عن الأحاسيس الفنية والأفكار والمعتقدات الدينية التي كانت سائدة آنذاك، ودراسة هذا النوع من الفن يعطينا فكرة عن مدى تطور الطرائق والأساليب الفنية المتبعة في النحت في بلاد الرافدين وهو من أكثر الفنون التي خلفت لنا نماذج كثيرة، ومن مختلف العصور نظراً لطبيعة المواد الطبيعية واحتفاظها بشكلها وهيئاتها الأصلية فترة زمنية طويلة.

ط- النحت عند سومر:

عرف عن السومريين الأوائل خلال النصف الثاني من الألف الرابعة قبل الميلاد، إنتاج مجموعة كبيرة جداً من الأواني المنحوتة بإسلوب النحت البارز ويعتبر الإناء النذري المكتشف في مدينة الوركاء شكلاً نموذجياً لفن النحت البارز وبنفس الوقت توضح مضامين موضوعاته المنحوتة طبيعة العلاقات بين المزارعين والآلهة¹.

كذلك يعد النحت من أهم الفنون التي مارسها العراقيون القدماء وأصدقها، وخصوصاً السومريون تعبيراً عن الأحاسيس الفنية والأفكار والمعتقدات الدينية التي كانت سائدة آنذاك، ودراسة هذا النوع من الفن له أهمية كبيرة في إعطاء أفكار عن مدى تطور الطرائق والأساليب الفنية المتبعة في النحت في بلاد الرافدين وهو من أكثر الفنون التي خلفت لنا نماذج كثيرة، ومن مختلف العصور نظراً لطبيعة المواد المستخدمة²، ويعتبر أيضاً هذا الفن الذي يملك المدرسة السومرية الأولى المتعددة الفنون منها النقش على الحجر وعلى الأبواب³.

ي- النحت عند أكاد:

يوجد في العصر الأكادي كسرتان من الديواريت على الأغلب تعودان إلى مسلة واحدة نحت هذه المسلة أن النحات الأكادي في زمن سرجون عام (2371 - 2316 ق.م) قطع شوطاً كبيراً في محاولاته التقرب في أشكاله إلى الواقعية ولا بد أن نشير إلى لباس رأس العاهل

¹ - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 99.

² - الكاتب مجهول، مرجع سابق، ص 14.

³ - نفسه، ص 102.

في هذا العصر المنحت الجبالية فيه عبارة عن طاقة ذات حاشية عريضة منبسطة وهذا النوع من لباس الرأس، عرف في هذا الألكادي¹.

ك- أدوات الزينة الحلي:

لقد ترجم السومريين أساطيرهم وإعتقادهم حتى في طبيعة مظهرهم الخارجي فكان الزي عندهم في البداية عبارة عن النوع من الحزام يحيط بوسط الجسم ولم يتخذ لستر العورة بل كرمز للقوة بالنسبة للرجل، أستخدم علمياً لتعليق آلات وأدوات ضرورية للعمل وللصراع والحرب، ويبدو أن مثل هذا الحاجز الرمزي والنفعي بنفس الوقت قد تطور إلى أن أخذ شكل أ زار (تنورة) قصيرة تعطي وسط أو على الجسم أعلى الفخذين وأختلف مثل هذا الملبوس في طوله إلى ما فوق وتحت الركبتين².

إستخدموا سكان بلاد الرافدين الأحجار الكريمة كالألماس، في التزيين الحلي للنساء كذلك الملوك إستخدموها في الزخرفة ملابسهم وتيجانهم وقدموها هدايا في مناسبات³. وكذلك أصبح الزي مميزاً كلباس عام للرجل والمرأة في العراق القديم خلال الفترة السومرية الأولى، عدا ظهور شخصيات مميزة لطبيعتها الدينية والاجتماعية بالنسبة للمعبودات عندهم ولقد ظهر العديد من الرجال عراة أو أشبه بالعراة وذلك بدافع الديني وظل العديد من الكهنة من السومريين يبدون عراة الأجسام وحتى عراة شعر الرأس والجسم وذلك لأسباب خاصة بتأدية الطقوس الدينية، إن بساطة المظهر العام الخارجي للفرد السومري وخاصة الرجال كانت منسجمة مع وضع المناخ للفرد السومري⁴ وخاصة الرجال كانت ملائمة مع الطبيعة الظروف الاقتصادية لمثل هؤلاء الذين يمثلون العامة من الشعب ومنذ بدايات الألف الثالث قبل الميلاد

¹ - الكاتب مجهول، المرجع السابق، ص 102.

² نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 324.

³ - قيس حازم توفيق، العلوم والمعارف في حضارة وادي الرافدين ووادي النبل في العصور القديمة، ص 1، د د، د بن 2018، ص 334.

⁴ - نفسه، ص 334.

ارتدي السومريون بشكل عام ملابس عرفت، تحت تسمية المه ذيات وهي وزارات (تتورات) مصنوعة من القماش تكون في شكلها ومظهرها تقليدًا لصوف الأغنام¹.

رابعًا: الجانب الاقتصادي

1- الزراعة والري:

اعتمدت الحياة الاقتصادية في بلاد الرافدين على الزراعة بالدرجة الأولى، وقد نشأت حضارة السومريين في بيئة زراعية².

ولهذا أخذ السومريون يهتمون بالري فخصصوا لها شبكة واسعة من الأقنية السدود والحواجز التي تتيح سقاية منتظمة للحقول³ حيث حولوا جريانهم في قنوات الري التي أخذت على الطول والعرض وكان نظام الري محكم من أعظم أعمال الري السومرية ومما لاشك فيه⁴ أنه مقوم من مقومات نجاح العملية الزراعية ومن أهم المحاصيل الزراعية التي أخرجتها هذه الأراضي الخصبة هي القمح والشعير بالإضافة الدخن⁵، وكانوا يزرعون كذلك الكتان والعدس والسمسم لاستخراج الزيت وكانت الشجرة المثمرة الأهم هي النخيل وتشكل ثمارها أغذية متنوعة⁶.

وكانت الحبوب تزرع على الأراضي واسعة للمعبد أو القصر الملكي، وتتولى إدراتها أو الإشراف عليها جمعيات زراعية، كما زرعت الحبوب والمحاصيل مختلفة في مساحات صغيرة حول المدن، أجرها ملاك الأراضي الإقطاعيين الذين يعيشون في المدن لمزارعين فقراء نزلوا في تلك الجهات⁷ وفي بادئ الأمر استخدم السومريون فؤوس من الحجر لحرث الأرض مثل الفؤوس التي استخدمت في العصر الحجري الحديث وبعد مدة ظهرت⁸ المحاريث التي تجرها

¹ - قيس حازم توفيق، مرجع سابق، ص 336.

² - حلمي محروس، مرجع سابق، ص ص 102 - 104.

³ - دياكوف كوفاليف، الحضارات القديمة، ج 1، تر: نسيم واكيم البازجي، ط1، دار علاء الدين، ص 84.

⁴ - ويل ديورانت، قصة الحضارة، م1، ص 110.

⁵ - أبو محاسن عصفور، مرجع سابق، ص ص 231 - 232.

⁶ - دياكوف كوفاليف، المرجع السابق، ص 85.

⁷ - حلمي محروس، مرجع سابق، ص 103.

⁸ - نفسه، ص 104.

الثيران وهي شبيهة بالمحاريث الحالية وبعضها كان يزود بما يشبه القمح لبذر البذور أثناء الحرث¹، كما كانوا يدرسون المحاصيل بعربات كبيرة من الخشب ركبت فيها أسنان من الظران تفتت الغش ليكون علفا للماشية وتفصل منه الحب ليكون طعاماً².

2- تربية المواشي:

ومن المعروف أن بلاد ما بين النهرين لم تقتصر على الزراعة وحدها بل وجدت بها مراعي كثيرة وهذه لم تكن في حاجة إلى عناية أكثر من إمدادها بالماء وقطع كلثها أحياناً³. حيث كانت تربي الأغنام والماعز والأبقار والخنازير في المراعي في السهول وعلى سفوح الجبال⁴.

تغذي بالحبوب وتعطي الأبقار اللحم والحليب الذي يصنعون منه الزبدة والجبن، وتربي الخرفان للحمها وصوفها، وكما يستخدم الحمير والثيران دابة للركوب لم يعرف السومريون الحصان وأخيراً لعبت تربية البط والجش دوراً واسعاً⁵.

3- الصناعة:

أمدت بيئة بلاد النهرين ببعض المواد الأولية التي استغلت في صناعة وأول هذه المواد بالطبع كان الطمي الذي صنعت منه الأواني وكانت في هذه في أول أمرها تصنع باليد ثم أصبحت تصنع بعد ذلك بالعجلة وقد تنوعت أشكالها حسب الأغراض التي استخدمت فيها فمنها أواني الشرب وكانت مخروطية الشكل والصحاف لوضع الطعام لصعوبة الحصول⁶، على الأحجار وصعوبة حفرها كانت الأواني الحجرية رمز للترف وكانت تحفظ عادة في المعابد وكثيراً ما كانت تزين بنقوش دينية⁷ ومن أهمها صناعة المنسوجات والمفروشات حيث كانت

¹ - أبو محاسن عصفور، مرجع سابق، ص 84.

² - ويل ديورانت، مرجع سابق، ص 110.

³ - أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص 233.

⁴ - حلمي محروس، المرجع السابق، ص 104.

⁵ - دليكوف كوفاليف، المرجع السابق، ص 85.

⁶ - أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص 233-234.

⁷ - دليكوف كوفاليف، المرجع السابق، ص 85.

منتشرة بصفة واسعة جدًا ولهذا عمل الملوك السومريون على احتكار صناعة النسيج التي كانت واسعة الانتشار عند السومريون، وكان يشرف عليها مراقبون حكوميين¹.

وكما كان السومريون يستخدمون النحاس والقصدير حيث كان يخلطونه في بعض الأحيان ليحصلوا على البرونز لصنع الأسلحة، وفي بعض الأحيان يصنعون آلات كبيرة من الحديد، ورغم ذلك ضلت المعادن قليلة ونادرة وأغلب لآلات السومرية تتخذ من الطران وبعضها كالمناجل التي يقطع بها الشعير، يصنع من الطين أما الطين، أما الدقيق منها كالإبر والمثاقب فكان يصنع من العاج والعظام².

كما أبدع الجواهريون السومريون في صناعة الحلي وأدوات الزينة من الذهب والفضة والحجار الثمينة³.

4- التجارة:

اشتهر أهل بلاد الرافدين منذ القدم بنشاطهم التجاري مع الشعوب المجاورة وقد أثروا بطرقهم ومعاملتهم التجارية في تلك الشعوب حتى أخذت عنهم الكثير من أساليب التجارة ومصطلحات في وبعض أسماء المكايل والموازين التي استخدموها، وربما كانت الحاجة إلى المواد الأولية الخام الضرورية وتصريف منتجاتها الزراعية والصناعة هي التي دعت إلى هذا النشاط⁴. حيث كانت القوافل التجارية تتجه إلى المناطق الواقعة حول الخليج العربي وآسيا الصغرى وإلى بلاد الشام، كما يستدل من أطلال المدن السومرية على قيام صلات تجارية بينها وبين مصر والهند⁵.

¹ - حلمي محروس، مرجع سابق، ص 234.

² - ويل ديورانت، مرجع سابق، ص ص 110-111.

³ - ديكوف كوفاليك، مرجع سابق، ص 85.

⁴ - أبو محاسن عصفور، مرجع السابق، ص 235.

⁵ - حلمي محروس، المرجع السابق، ص 235.

وكانت تنقل البضاعة عن طريق الماء وخاصة الحجر النادر في سومر حيث كان يؤتي به من خارج البلاد عن طريق الخليج الفارسي أو من أعالي النهرين لكن النقل البري أخذ ينمو وينتشر¹.

كما عرف سكان بلاد الرافدين تجارة الرقيق ميسرة فيما بينهما وحيث عدد النساء يتجاوز عدد الرجال وكانت المصادر الرئيسية للعبودية الحروب وشراء العبيد من البلدان المجاورة بعامّة قليلة العدد، بالإستثناء كانوا يشترون الفتیان، وتحول الناس المدنيين الأحرار إلى عبيد، وكانت العبودية السومرية وأكاد ذات طبيعة أبوية لا يحتل العبيد حيزا خاصا من بهم في الإنتاج ويعملون بالتساوي مع الناس الأحرار، وغالبا في عمل واحد كان كدحهم مستغلا في المنزل ومنشآت الري حراثة الأرض ومنهم رعاة وحاصدين ويخصص منهم للمعابد وحكام المدن وحتى الأعيان كانوا يمتلكون عبيدا أيضا².

وكان العمل التجاري عن طريق المقايضة لأن النقود لم تعرف بعد فكان الذهب والفضة والنحاس يستعملان لتقدير قيم البضاعة وكانت الأجور والمستحقات تدفع شعيرا³. أما بالنسبة لتجارة الداخلية بين المدن فكانت تتم عن طريق المقايضة بسبائك الفضة وكثيرا ما كانت تدون عقود البيع والشراء والمعاملات التجارية المختلفة⁴.

- أمّا فيما يخص التجارة الأكادية

بعد إعلاء سرجون الأكادي العرش وفتحة لعدة أقطار وضمها إلى إمبراطوريته اتبعت له السيطرة على المراكز التجارية منها إقليم كبدوكية في الأناضول لنجدة مستعمرة من تجار الأكاديين للتجارة الصوف والفضة⁵.

¹ - ويل ديورانت، مرجع سابق، ص 111.

² - دياكوف كوفاليك، مرجع سابق، ص ص 85-86.

³ - الكاتب مجهول، كتاب المعرفة (مدن ومدنيتات)، د ط، شركة الإنماء، دمشق، 1989، ص 17.

⁴ - ويل ديورانت، مرجع سابق، ص 111.

⁵ - طه باقر، مرجع سابق، ص 390.

كما حرص حفيد ه نرام سين على استمرار هذه السيطرة وذلك من خلال الصين الذي شيده نرام سين، تل براك على نهر الخابور الأمر الذي يشير إلى اتساع السيطرة الأكادية وعناية الدولة الأكادية في ضمان السيطرة على الطرق التجارية المهمة مابين العراق وسورية الشمالية وموانئ البحر المتوسط وبلاد الأناطول كما كانت أهم الفتوحات تستهدف بالدرجة الأولى السيطرة على بقاع المواد الأولية الضرورية لإزدهار الحضارة مثل النحاس والأحجار الكريمة وشبه كريمة¹.

¹ - طه باقر، المرجع السابق، ص 391.

خلاصة الفصل:

إن لبلاد الرافدين ثقافات جمة المتمثلة في العلوم منها الآداب والفنون، وهكذا سميت بلاد الرافدين بأم العلوم لكونها هي أول من اخترعت الكتابة مما أدت إلى بروز في الجوانب الأخرى كالجانب العسكري للمنطقتين أكاد وسومر هما المدن أكثر تعرضا لأهم الصراعات الحربية والمعارك على إستراتيجية أرض بلاد ما بين النهرين، وبفضل حنكة ملوكها كانت هي الأغلب ونذكر أيضا تميزت في الجانب الفني لبلاد الرافدين في الشرق الأدنى القديم، إن كانت لها فنون عديدة حيث ابتكروا وأبدعوا في نحت ومجسمات والنقوش والتماثيل التي كانت تنقش على الحجر وكانت أشكال متنوعة فيه بلغت حتى رسوم الملوك، وأبدعوا في العمارة والأختام الاسطوانية أيضا كان لبلاد العراق قديما الجانب الاقتصادي الذي لعب دورا هام في بناء وتسريع عجلة الاقتصاد فيها حتى غاية الآن.

- من خلال البحث في موضوع العصور المعدنية في بلاد الرافدين، حاولنا تسليط الضوء على العديد من الجوانب المتعلقة بالموضوع فتوصلنا إلى مجموعة من النتائج:
- احتلت بلاد الرافدين موقع جغرافي هام جعلها سيدة الشرق الأدنى القديم من عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحالي.
 - نظرا للموقع الإستراتيجي الذي تحتوي عليه بلاد الرافدين جعلها منها محل استقطاب وجذب الكثير من الشعوب والحضارات التي توالى على تاريخها حبا في استلائهم عن المنطقة وخيراتها.
 - ظهور النهرين اللذان يمثلان العامل الأساسي لبناء هذا المجتمع الإنساني في المنطقة
 - لعبت بيئة وادي النهرين دورا كبيرا في مساعدة الإنسان على بناء وتعمير المنطقة بعدما كانت أرض خالية من الإنسان والحيوان والنبات.
 - خصوبة وغناء تربة بلاد النهرين جعلها تعطي أحسن وأجود ما عندها في لبناء وقيام هذه الحضارة.
 - ظهور الزراعة والتي تعتبر بمثابة نقلة نوعية لبلاد الرافدين والتي تعتبر أولا الخطى الهادفة لبناء وتعمير هذا المجتمع الحضاري.
 - كان تطور الزراعة له دور كبير في تطور الإنسان حيث من خلاله أخذ يطور آلاته وطور مسكنه وطور من نفسه وذلك لسد حاجياته وإقامة اكتفاء ذاتي له ولمن معه.
 - كما كان ظهور الزراعة في حياة الإنسان ما قبل التاريخ بمثابة حبل نجاة أو درب ينتظره بفارغ الصبر كي يطور من نفسه ويخرج من حياة البداوة وهمجية التي كان يعيشها.
 - إبداع الإنسان في بناء مسكنه الذي أخذ يتطور من مرحلة إلى مرحلة وطور في أدواته وتهذيبها على ما كانت عليه وكذلك من الناحية طريقة العيش والصيد والأكل وبإدخال عنصر آخر وهو أكل ثمار والحبوب.
 - تطور الإنسان من الناحية الفيزيولوجية والعقلية حيث أصبح أكثرا وعيا وتقدما ويبدع من أجل بلوغ غاياته وقضاء حوائجه.

الخاتمة:

- انتقاله من مرحلة تجوال في العراء والكهوف وسكن في الأكواخ المبنية بالقش إلى ظهور مساكن المصنوعة من الحجارة واللبن والقرميد وإبداعه في فصل الغرف الجلوس وغرف لدفن وغرفة الأكل وقضاء حاجياته.
- كما تطورت نظرت الإنسان للحيوانات الذي كان يمثل ألد أعدائه في صراعه مع الطبيعة ومصدر للغذاء لا إلا.
- حيث أصبح يستأنسه وتطورت حاجياته له حيث أصبح يستخدمه لحرث الحقول الزراعية ويمده بالحليب والألبان والصوف للباس ولأكل ولم تقتصر على حاجة واحدة فقط.
- أي تطور فكرة إنسان للحيوان واستخداماته عن ذي قبل.
- أما عن الحدث الأبرز أو الإنجاز الثاني الذي ستشهده المنطقة خلال الألف الخامس ق.م بمثابة ثورة عالمية شملت مناطق العالم والشرق الأدنى بصفة عامة وشملت بلاد الرافدين بالصفة خاصة وهو ما يسمى بالمعادن.
- حيث كان ظهوره بشكل مفاجئ ولم يعره الإنسان اهتماما إلا صدفة والتي تعد هذه أول الخطوة الأولى لمعرفة المعادن.
- فأخذ الإنسان يفكر في كيفية الحصول عليها والاستفادة منها وذلك لنذرة توفرها في المنطقة.
- خروج الإنسان يبحث عن المعادن في مناطق المجاورة والعمل على التحصل عليها سواء عن الطريق السلم أو الحروب.
- انتقال إنسان من صناعة الأدوات الحجرية إلى صناعات المعدنية.
- بروز النحاس والبرونز والحديد كأهم المعادن شغلت إنسان بلاد الرافدين القديم.
- من أهم الجوانب الحضارية التي مستها المعادن هي الجانب العسكري لصناعة الأسلحة.
- أهم الصناعات المعدنية فضلا عن الأسلحة أدوات الزينة للمنازل والحلي بالنسبة للمرأة.

- بروز الصناعات المعدنية في الحضارات التي توالى على بلاد الرافدين منها السومارية والأكدية والبابلية والأشورية والكلدانية خاصة في تماثيل العبادة وتماثيل لتخليد الملوك أو لتزيين القصور.

ومن هنا نستنتج أن حضارة بلاد الرافدين كان لها الأرضية الخصبة في تكوين الإنسان وبناءه بعد ما كان مجرد إنسان همجي بدائي يعيش في العراء دون وعي تقوم حياته على صراع مع طبيعة والحيوان هدفه الأول الأكل فقط لإنتاج وهدف يعيش من أجله.

الملحق رقم 01: خريطة بلاد ما بين النهرين¹.



الملحق رقم 02: أدوات العصر الحجري الأسفل².



¹ - زابور حسين وحمدادوي سمية، الدين والفن في العراق القديم (3200ق.م-539ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حضارات قديمة، جامعة ابن خلدون، قسم العلوم الإنسانية، فرع تاريخ، 1436-1437هـ/2015-2016م، ص 149.

² - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 105.

الملحق رقم 03: أدوات العصر الحجري الأوسط¹.



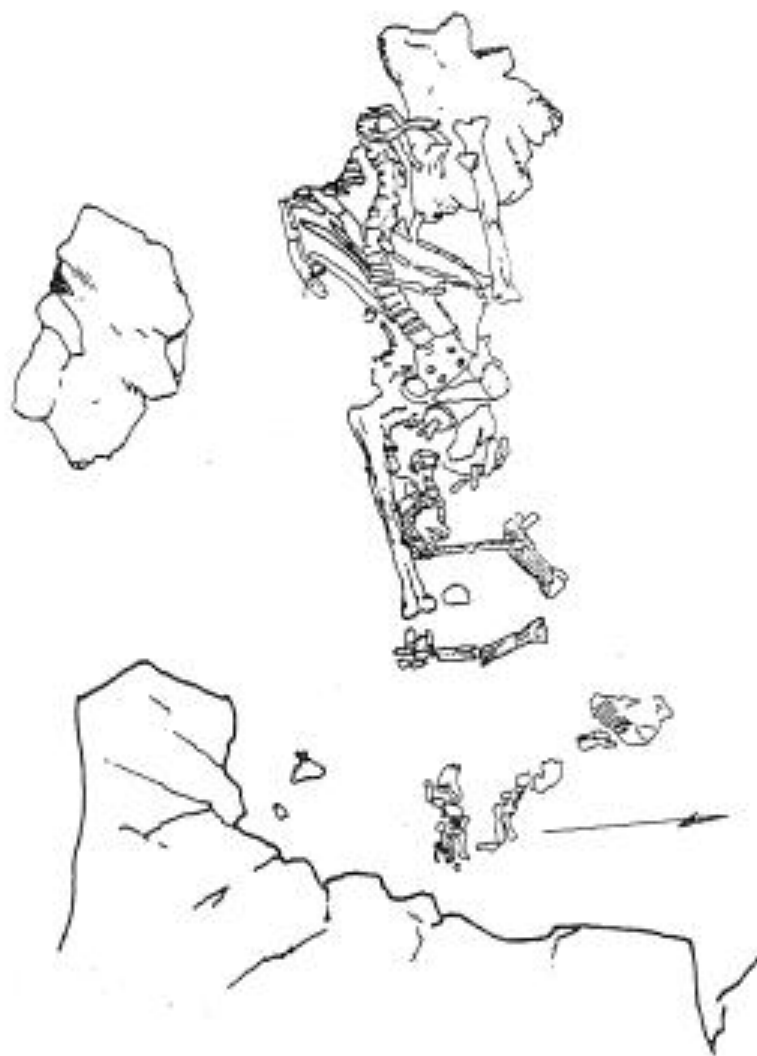
الملحق رقم 04: كهف شنيدر شمال العراق².



¹ - نفسه، ص 106.

² - لؤي، العصر الحجري الحديث، ص 18.

الملحق رقم 05: هيكل عظمي لانسان نيدرثال في شنيدر¹.



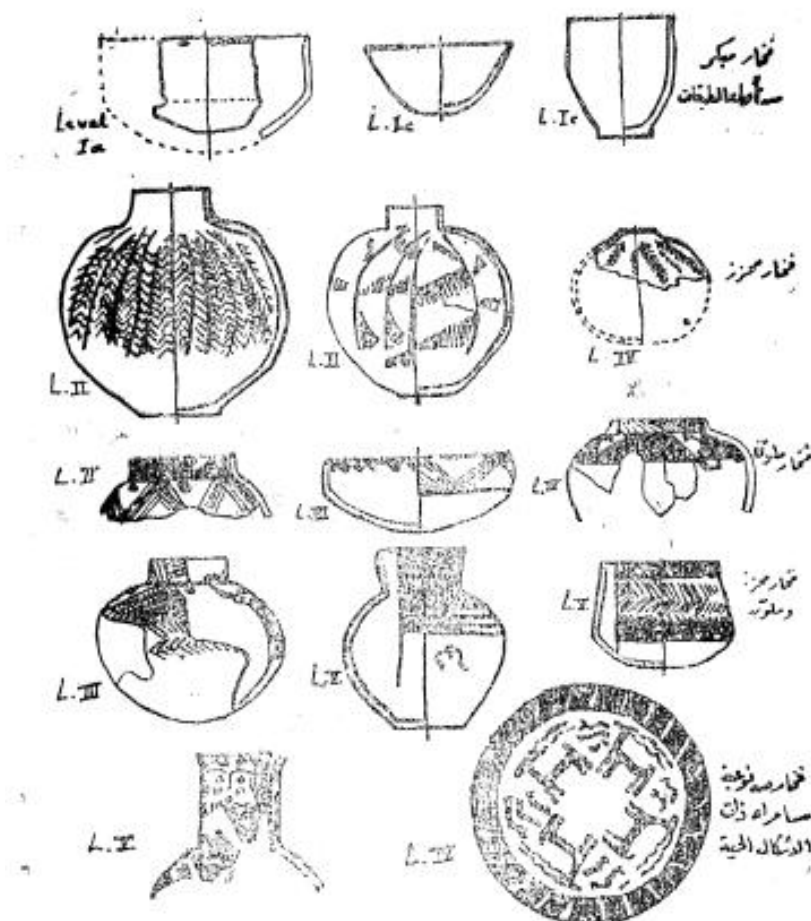
¹ - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ص 96.

الملحق رقم 06: كهف شقبا وادي الناطوف¹.



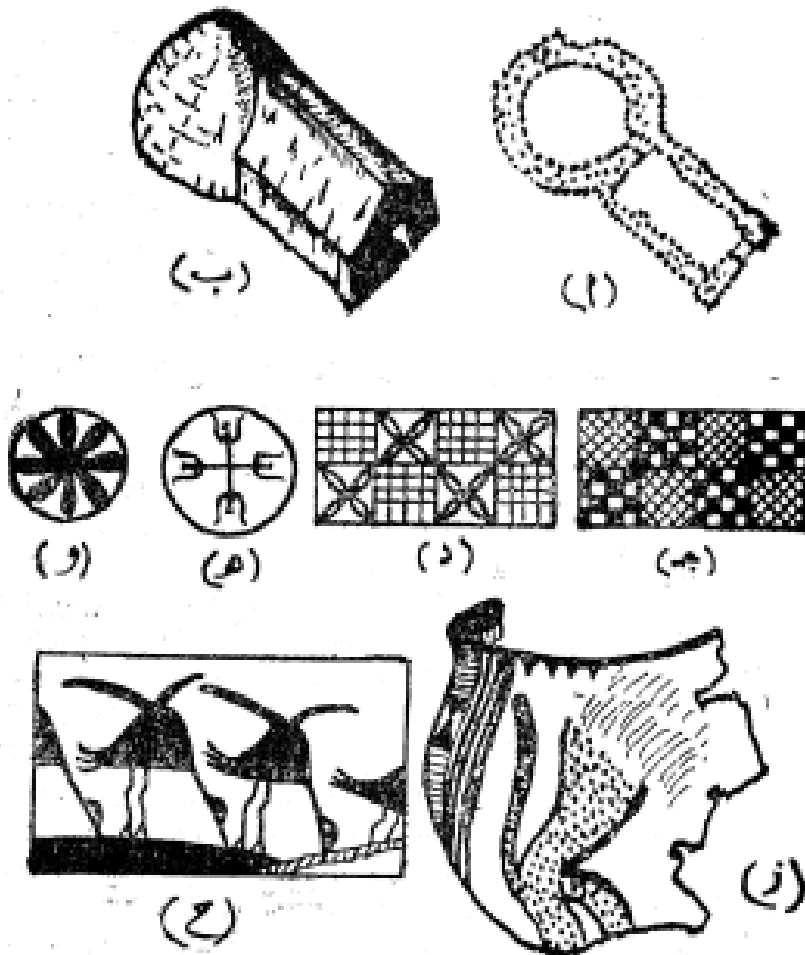
¹ - لؤي، مرجع سابق، ص 16.

الملحق رقم 07: نماذج فخار تل حسونة¹.



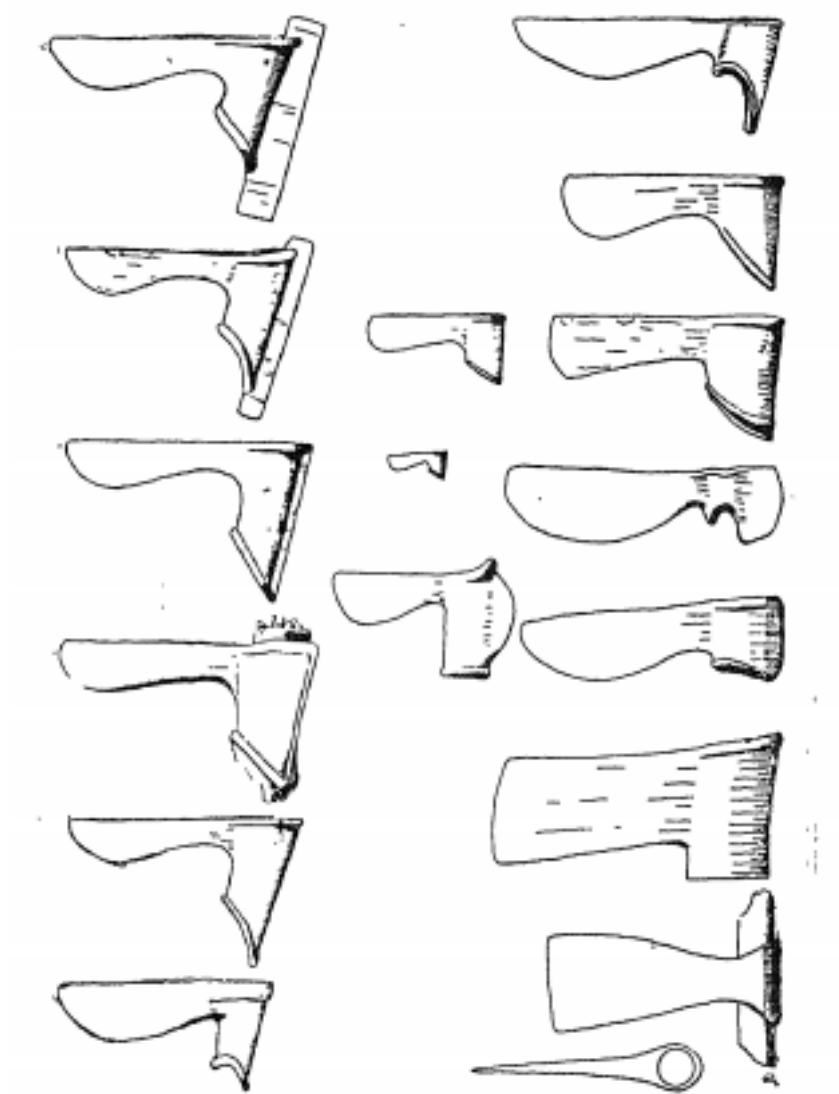
¹ - محمد عبد اللطيف محمد علي، مرجع سابق، ص 54.

الملحق رقم 08: نماذج من إنتاج حضارة حلف¹.



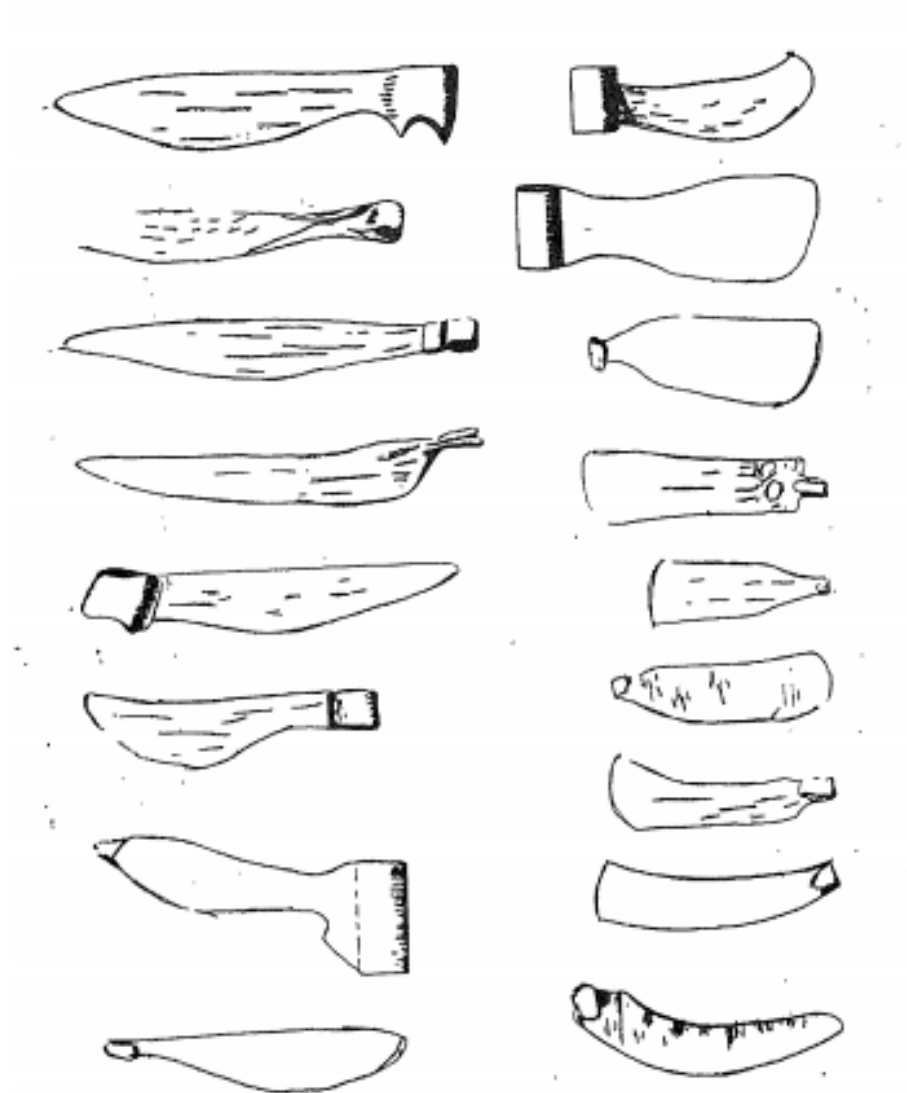
¹ - محمد عبد اللطيف محمد علي، مرجع سابق، ص 65.

الملحق رقم 09: نماذج فؤوس نحاسية¹.



¹ - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ج 2، ص 258.

الملحق رقم 10: نماذج من فؤوس برونزية¹.



¹ - نخبة من الباحثين العراقيين، مرجع سابق، ج 2، ص 259.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم، سورة الحجرات آية: 33.

- أبو شحمة محمد علي ، الأختام الاسطوانية مصدر من مصادر دراسة تاريخ بلاد الرافدين مجلة، كلية الادام، عدد10، جامعة مصراته.

ثانياً: المراجع:

1- الكتب:

- 1- العيد بشي إبراهيم ، تدوين اللغة عن السومريون تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة، دار هومه، د ط، الجزائر، 2007.
- 2- عصفور أبو المحاسن ، الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية، د ط، مطبعة المصرية، 1926.
- 3- عصفور أبو محاسن ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر، مطبعة المصرية.
- 4- سليم أحمد أمين ، تاريخ العراق القديم منذ أقدم العصور حتى الغزو الإيراني 639 ق.م، دن، دار المعرفة الجامعية كلية الأدب.
- 5- سليم أحمد أمين ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق وإيران)، د ط، دار النهضة العربية، بيروت.
- 6- سوسة أحمد ، حضارة وادي الرافدين، ج2، د ط، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986.
- 7- فخري أحمد ، الدراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق وسوريا واليمن) مختارات من وثائق التاريخية، ط2، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1963.
- 8- مورتكات انطون، الفن في العراق القديم، ج1، د ط، د د، دب.
- 9- مورتكات انطون، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تر: توفيق سليمان، د ط، د د، د س.
- 10- كيرشيام ايفاكانيك، تاريخ الآشوريين القديم، تر: فاروق إسماعيل، ط1، دار الزمان، دمشق، 2008.

قائمة المصادر والمراجع

- 11- دلو برهان الدين ،حضارة العراق ومصر التاريخ إقتصادي وإجتماعي والثقافي والسياسي، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1989.
- 12- الدباغ تقي الدين ، الوطن العربي في العصور الحجرية، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، 1988.
- 13- حميد جاسم وآخرون، الأنساق الثقافية في أدب وادي الرافدين، كلية التربية، العلوم الإنسانية، جامعة بابل، د ط، د د، دس.
- 14- السعدي حسن محمد محي الدين ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق، إيران، آسيا الصغرى) ج2، د ط، دار المعرفة الجامعية، 2009م.
- 15- محروس حلمي ، الشرق العربي القديم وحضاراته (بلاد ما بين النهرين الشام والجزيرة العربية القديمة، مؤسسة الشباب الجامعة الإسكندرية، 1997.
- 16- الماجدي غزعل ، متون سومر (التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، والطقوس)، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، دس.
- 17- العاني دحام إسماعيل ، موجز تاريخ العالم، ج1، مكتبة الملك فهد الوطني للنشر، 2002م.
- 18- ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، تر: محرم كمال، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.
- 19- ریحانا سامي ، شعوب الشرق الأدنى القديم.
- 20- علي سعيد إسماعيل ، التربية في حضارات الشرق الأدنى القديم، د ط، مكتبة الاسكندرية، القاهرة، 1999.
- 21- لويد سيتون ، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، تر: محمد طلب، د ط، دار دمشق.
- 22- الحبوبي شيماء ماجد و عبد الحسين سهام علي ، جوانب من الحضارة السومرية، مجلة التراث العلمي العربي، العدد1، جامعة بغداد، 2012.

قائمة المصادر والمراجع

- 23- كجه جي صباح اسطفيان ، الصناعة في وادي الرافدين، د ط، د ب، 2002.
- 24- سامي صفوان جاسم سعيد ، التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء المصادر المسمارية، دط، دن، دس، دب.
- 25- كريم صموئيل ، من ألواح سومر، تر: طه باقر، د ط، مكتبة المثني، بغداد، دس.
- 26- باقر طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، دار الوراق، للنشر المحدد، 2004.
- 27- سليمان عامر ، بلاد عيلام وعلاقتها، د ط، د د، د س.
- 28- زايد عبد الحميد ، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 363 ق.م، د ط، دار النهضة العربية.
- 29- فاضل البياتي عبد الحميد ، تاريخ الفن العراقي، د ط، كلية الفنون الجميلة، دد، دس.
- 30- حسن علي عبد القادر ، حضارة العراق، ج1، د ط، المكتبة الوطنية، بغداد، 1984.
- 31- حميد رشيد عبد الوهاب ، حضارة وادي الرافدين، ط1، دار الهدى، 2004.
- 32- سكر عزمي ، السومريون في تاريخ، دار العالم الكتب، ط1، بيروت، 1986.
- 33- لوبون غوستاف ، حضارة بابل وأشور، تر: محمود خيرت المحامي، ط2، دار الرافدين، بيروت، لبنان، 2017.
- 34- مرعى عيد ، موجز في تاريخ اللغة الأكديّة وقواعدها، مكتبة الأسد الثقافية، دمشق، 2012.
- 35- بسمه جي فرج ، العصور الحجرية في العراق ضوء المكتشفات الحديثة، دس.
- 36- بسمه جي فرج ، دليل المتحف العراقي، د ط، مديرية الآثار والمتاحف.
- 37- رشيد فوزي ، سرجون الأكدي أول امبراطور في العالم، ط1، دار ثقافة الأطفال، بغداد، 1995.
- 38- حازم توفيق قيس ، العلوم والمعارف في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل في العصور القديمة.

قائمة المصادر والمراجع

- 39- دياكوف كوفاليك ، الحضارات القديمة، ج1، تر: نسيم واكيم اليازجي، ط1، دار علاء الدين، دس.
- 40- عبد الستار لبيب ، الحضارات موجز في تاريخ، دار المشرق، ط14، بيروت، دس.
- 41- أبو السعود لؤي ، العمارة في العصر الحجري الحديث، د ط، د د، دس.
- 42- روتن مارغريت ، تاريخ بابل، تر: عازار وميشال أبي فاضل، د ط، منشورات عويدات، بيروت، 1984.
- 43- مجهول الكاتب، مدن ومدنيت، د ط، شركة الإنماء، دمشق، 1989.
- 44- مهران محمد بيومي ، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، 1990.
- 45- محمد علي محمد عبد اللطيف ، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالثة ق.م، مكتبة الإسكندرية، 1977.
- 46- ليسفي ميغو ، أسرار الآلهة والديانات، تر: حسان ميخائيل إسحاق، ط4، دار علاء الدين، دمشق، 2009.
- 47- حنون نائل ، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار، ج1، د ط، د د، دمشق.
- 48- فرح نعيم ، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم (السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي)، د ك، دار الفكر، بدمشق، نيسان 1972.
- 49- ولز - ه - ج ، معالم تاريخ الإنسانية، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، م1، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د د، دس.
- 50- بشور وديع ، سومر وأكد، د ط، دن، دمشق، 1981.
- 51- نحنة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق، ج2، د ط، بغداد، 1997.
- 52- ديورانت ويل ، قصة الحضارة، م1.

قائمة المصادر والمراجع

2- المذكرات:

- 1- بان أسماء ، الحياة الفكرية، في بلاد العراق القديم، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2015م-2016م.
- 2- محددة بشير وآخرون ،مصادر الشرق الأدنى القديم (مصر، بلاد الرافدين، فينيقيا)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي.
- 3- بقة بلخير ، أثر الديانة في وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل (3260-539ق.م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، سنة 2008م-2009م.
- 4- حند فضيلة ، الحضارة الأكديّة في العراق القديم (2250-2159ق.م)، مذكرة ماستر تاريخ قديم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، سنة 2014م-2015م.
- 5- زابور حسين وحداوي سمية، الدين والفن في العراق القديم (3200ق.م-539ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ حضارات قديمة، جامعة ابن خلدون، قسم العلوم الإنسانية، فرع تاريخ، 1436-1437هـ/2015-2016م.

3- المعاجم:

- عبودي هنري س ، معجم الحضارات السامية، ط2، جروس بروس، لبنان، 1991م.

4- المجلات:

- 1- جريو داخل حسن ، مجلة المجمع العلمي، ج3، مج53، بغداد، 2006م.
- 2- لاوي سليم ، المعادن أول المستعمل منها في العراق ، مجلة سومر الأثرية، دع، كانون الثاني، 1946.

قائمة المصادر والمراجع

3- عبد الواحد علي فاضل ، العراقيون ودورهم في المنطقة، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع24، 1979.

5- المواقع والموسوعات:

1 خليل أحمد محمود ، دراسات سوسيولوجية في الشخصية الكردية، 2-12-2009
dralkhali l@ hotmail.com.

2- عوض الله محمد فتحي ، الإنسان والثروات المعدنية، سلسلة كتب ثقافية شهرية، صدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب - الكويت، عالم المعرفة، ع33، صرت في يناير 1978.

الصفحة	العنوان
	شكر وعرفان
	قائمة المختصرات
1	مقدمة
	المدخل التمهيدي: الدراسة الجغرافية والبشرية لبلاد الرافدين
6	أولاً: أصل التسمية
9	ثانياً: الموقع الجغرافي
14	ثالثاً: أصل السكان
	الفصل الأول: العصور الحجرية
17	تمهيد
19	أولاً: العصر الحجري القديم
20	1 العصر الحجري القديم الأسفل (الأدنى)
22	2 العصر الحجري القديم الأوسط
24	3 العصر الحجري القديم الأعلى
26	ثانياً: العصر الحجري الوسيط
30	ثالثاً: العصر الحجري الحديث
34	خلاصة الفصل
	الفصل الثاني: العصور المعدنية في بلاد الرافدين
36	تمهيد
37	أولاً: العصر النحاسي
46	ثانياً: العصر لبرونزي
52	ثالثاً: العصر الحديدي
56	خلاصة الفصل

فهرس المحتويات

الفصل الثالث: تأثير الصناعات المعدنية على إقتصاد بلاد الرافدين	
58	تمهيد
59	أولاً: الجانب الثقافي
64	ثانياً: الجانب العسكري
71	ثالثاً: الجانب الفني
78	رابعاً: الجانب الإقتصادي
83	خلاصة الفصل
85	الخاتمة
89	الملاحق
98	قائمة المصادر والمراجع
105	فهرس المحتويات

تم بحمد الله